الكواكب الدرية

من تعليقات سماحة الشيخ ابن باز

على الفتوى الحموية

تقريظ

الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالعزيز العقيل

الشيخ العلامة
صالح بن فوزان الفوزان

أعده : أبو سفيان
غزاي بن حمدان بن حسين الوهبي الأسلمي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار الآثار

الكواكب الدرية

من تعليقات سماحة الشيخ ابن باز على الفتوى الحموية

تقريظ

الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالعزيز العقيل

الشيخ العلامة
صالح بن فوزان الفوزان

أعده | أبو سفيان
غزاي بن حمدان بن حسين الوهبي الأسلمي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار ابن الأثير

ح دار ابن الاثير للنشر و التوزيع ، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الاسلمي ، غزاي حمدان حسين
الكواكب الدرية في التعليقات على الفتوى الحموية / غزاى حمدان حسين الاسلمي - الرياض ، ١٤٣٠هـ
٢٥٤ ص ،. ١٧X٢٤ سم
ردمك : ٠ - ٧٧ - ٨٧٢ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨
١- التوحيد ٢- الالوهية أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٠/٤٢٦٤

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٤٢٦٤
ردمك : ٠ - ٧٧ - ٨٧٢ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

الطبعـة الثانيـة

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

دار ابن الأثير
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - ص . ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٥٣٦

هاتف : ٤٢٨٥٣٩٠ المعرض : ٢٦٧٧٥٨٤ فاكس : ٢٦٧٢٥٥٨

التوزيع : ٠٥٠٦١٠٨٦٦٧ - ٠٥٠٦١٠٨٧٠٧ الغربية : ٠٥٠٦٤١٦٠١٩

الموزع بجمهورية مصر العربية : ٠١٧٢٧٨٤٥٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل العقيل

الحمد لله وحده، وبعد: فقد اطلعت على هذه النسخة من رسالة الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وتعليق الشيخ الأستاذ غزاي ابن حمدان بن حسين الوهبي عليها بهذا الكتاب الذي سماه: «**الكواكب الدرية**» مما استفاده من شرح شيخنا العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله وتقريراته، ألفيت تلك التعليقات والتقريرات قد أوضحت مقاصد الفتوى الحموية، وأنارت معالمها وقربت فوائدها للطلاب، ولاسيما بذكر الأمثلة والقواعد التي أضافها شيخنا، فجاءت مكملة للكتاب وما تضمنه من معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ومسائل الإيمان المتعددة وعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه وغير ذلك، والرد على المخالفين من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، فجزى الله الشيخ غزاي على إخراجها بهذه الصفة الممتازة، وأعظم الله الأجر لشيخنا ونفعنا بها والمسلمين، وكتبه الفقير إلى الله ـ **عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل** رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقاً ـ حامداً لله مصلياً مسلماً على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

٢٥/٦/١٤٢٩هـ

عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل العقيل

التاريخ ٥/ ٦/ ١٤٢٩هـ

الحمد لله وحده ، وبعد : فقد اطلعت على هذه النسخة من رسالة الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية وتعليق الشيخ الأستاذ غزاي بن حمدان بن حسين الوهبي عليها بهذا الكتاب الذي سماه " **الكواكب الدرية** " مما استفاده من شرح شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله وتقريراته الفيت تلك التعليقات والتقريرات قد أوضحت مقاصد الفتوى الحموية ، وانارت معالمها وقربت فوائدها للطلاب ، ولاسيما بذكر الأمثلة والقواعد التي أضافها شيخنا ، فجاءت مكملة للكتاب وما تضمنه من معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ومسائل الإيمان المتعددة وعلو الله على خلقه واستوائه على عرشه وغير ذلك والرد على المخالفين من الجهمية والمعتزلة وغيرهم ، فجزى الله الشيخ غزاي على إخراجها بهذه الصفة الممتازة ، وأعظم الله الأجر لشيخنا ونفعنا بها والمسلمين ، وكتبه الفقير إلى الله _ **عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل** رئيس الهيئة الدائمة بمجلس القضاء الأعلى سابقا _ حامداً لله مصلياً مسلماً على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين ٥/ ٦/ ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة
صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله، وبعد: فقد قرأت غالب هذه التعليقات المفيدة لشيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وعرفت أنها من كلامه؛ لمعرفتي بأسلوبه وتحقيقاته. فأرى طبعها ونشرها للاستفادة منها، فجزى الله من قام بذلك خير الجزاء. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء
١٨/ ٥/ ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وبعد: فقد قرأت غالب هذه التعليقات المفيدة لشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وعرفت أنها من كلامه لمعرفتي بأسلوبه وتحقيقاته فأرى طبعها ونشرها للاستفادة منها فجزى الله من قام بذلك خير الجزاء وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

١٨/٥/١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهدى بكتابه ثم على لسان رسوله، ثم أنعم عليه وأقام الحجة على خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وفرض عليهم اتباع ما أنزل إليهم وسن رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فأعلم أن معصيته في ترك أمره وأمر رسوله ﷺ، ولم يجعل لهم إلا اتباعه، وأعلمهم أنه كمّل لهم دينهم فقال عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

ثم منّ عليهم بما أتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لا يقولوا غيره إلا ما أعلمهم فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢](١). صلى الله وسلم عليه وعلى أصحابه أعلام الهدى ومصابيح الدجى، كانوا ـ مع أنهم أكمل الناس علماً نافعاً وعملاً صالحاً ـ أقل الناس تكلفاً، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف ما يهدي الله بها أمة، وهذا من منن الله على هذه الأمة، وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات ما هو من أعظم الفضول المبتدعة والآراء المخترعة لم يكن لهم في ذلك سلف إلا رعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصده في الدين(٢).

أما بعـد:

فلا شك أن معرفة مراد الله والرسول ﷺ ومراد الصحابة هو أصل العلم وينبوع الهدى، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولاسيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان.

---

(١) من خطبة الشافعي في «إبطال الاستحسان».

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ١٣٨.

وكلما كان الرجل أتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين، وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا كثر بعده عنه ظهر فيه الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول[1].

وكلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره[2].

فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع، فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه به ويكمل إسلامه.

ولهذا عظّمت الشريعة النكير على من أحدث البدع وحذرت منها، لأن البدع لو خرج الرجل منها كفافا لا عليه ولا له لكان الأمر خفيفاً، بل لا بد أن توجب له فساداً في قلبه ودينه ينشأ من نقص منفعة الشريعة في حقه، إذ القلب لا يتسع للعوض والمعوض عنه، فيبقى اغتذاء قلبه من هذه الأعمال المبتدعة مانعاً من الاغتذاء أو من كمال الاغتذاء بتلك الأعمال النافعة الشرعية، فيفسد عليه حاله من حيث لا يعلم كما يفسد جسد المغتذي بالأغذية الخبيثة من حيث لا يشعر، وبهذا يتبين لك بعض ضرر البدع[3]. فكل من خرج عن اتباع الرسول فهو ظالم بحسب ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٩٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٢٥.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/ ٤٨٣-٤٨٤.

والمبتدع ظالم بقدر ما خالف من سنته[1] والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء، ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب[2]. وكل من كان إلى الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان أقرب كان أقرب إلى كمال التوحيد والإيمان والعقل والعرفان، وكل من كان عنهم أبعد كان عن ذلك أبعد[3].

وإنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة[4].

ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء الأنبياء والمرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١١٢] فإن الحق إذا جُحِد وعورض بالشبهات؛ أقام الله له مما يحقق الحق ويبطل الباطل من الآيات البينات مما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة، وهذه كالمحنة التي تميز الخبيث والطيب، والفتنة هي الامتحان والاختبار، فالحق كالذهب الخالص كلما امتحن زاد جودة، والباطل كالمغشوش إذا امتحن ظهر فساده[5]. قال

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ١٢٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٥٩.

(٣) منهاج السنة النبوية ٣/ ٢٩٣.

(٤) التحفة المهدية (٣٧٧).

(٥) الجواب الصحيح ١/ ٨٥.

الذهبي: هذه ثمرة المحنة المحمودة أنها ترفع العبد عند المؤمنين[١]. فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا بخلاف غيرهم فإن الابتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه.

وأهل البدع الذين ذمهم الله نوعان: أحدهما عالم بالحق يتعمد خلافه، والثاني جاهل متبع لغيره[٢].

ويلحق الذم من يبين له الحق فيتركه أو من قصر في طلبه حتى لم يتبين له أو عرض عن طلب معرفته لهوى أو لكسل أو نحو ذلك[٣].

قال ابن رجب: وهاهنا أمر خفي ينبغي التفطن له وهو أن كثيراً من أئمة الدين قد يقول قولاً مرجوحاً ويكون مجتهداً فيه، مأجوراً على اجتهاده فيه، موضوعا عنه خطؤه فيه، ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة، لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث إنه لو قاله غيره من أئمة الدين لما قبله، ولا انتصر له، ولا والىٰ من يوافقه، ولا عادى من خالفه، ولا هو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه، وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق، وإن أخطأ في اجتهاده، وأما هذا التابع فقد شابه انتصاره لما يظنه الحق إرادة علو متبوعه وظهور كلمته وأنه لا ينسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدح في قصد الانتصار للحق، فافهم هذا فإنه مهم عظيم والله

---

(١) المصدر السابق (٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى ١٧/ ٤٣٣.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٥٨٢-٥٨٣.

يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم(١).

وقد شهد سبحانه لمن يرى أن ما جاء به من عند الله هو الحق لا آراء الرجال بالعلم فقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩].

فمن تعارض عنده حقائق ما جاء به وآراء الرجال فقدمها عليه أو توقف فيه أو قدحت في كمال معرفته وإيمانه به لم يكن من الذين شهد الله لهم بالعلم ولا يجوز أن يسمى بأنه من أهل العلم(٢).

وإن من العلماء الربانيين الذين حفظ الله بهم الملة، ودفع بهم شرور المخالفين هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، قدس الله روحه ونوّر ضريحه، فإنه كان آية من آيات الله في الحجة ونصر السنة كما قال عنه الإمام شمس الدين الذهبي: لقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها(٣).

بل كان هو أعلم بنفسه حيث يقول: أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها(٤).

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٦٧-٢٦٨ حديث رقم (٣٥).

(٢) الصواعق المرسلة ١/ ١٨٧-٢٠١.

(٣) من كتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة»، ص(٤٧).

(٤) مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٤.

وكل لفظ ذكرته فأنا أذكر به آية أو حديثاً أو إجماعاً سلفياً[1].

وكان له في دين الله مواقف كالشمس في رابعة النهار، حتى قال عن نفسه ـ حين ألجئوه إلى بعض المناظرات ـ: وتكلمت بكلام احتجت إليه مثل أن قلت: من قام بالإسلام أوقات الحاجة غيرى؟ ومن الذى أوضح دلائله وبينه وجاهد أعداءه وأقامه لما مال حين تخلى عنه كل أحد، ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه، وقمت مظهراً لحجته مجاهداً عنه مرغباً فيه[2]؟

وصدق رحمه الله ورضي عنه، فإن ما ننعم به من صفاء عقيدة ـ والحمد لله ـ إنما هو بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بجهود العلماء المخلصين الذين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث جدد الدين وكشف الحق حين كاد يندثر بسبب شبهات المضلين، حتى قال عنه أحمد بن طرخان المالكي: كل صاحب بدعة ومن ينتصر له ـ لو ظهروا ـ لابد من خمودهم وتلاشي أمرهم، وهذا الشيخ تقي الدين ابن تيمية كلما تقدمت أيامه تظهر كرامته ويكثر محبوه وأصحابه[3].

وكان يقول رحمه الله: وإلا فأنا على أي شيء أخاف؟ إن قتلت كنت من أفضل الشهداء، وكان علي الرحمة والرضوان إلى يوم القيامة، وكان على من قتلني اللعنة الدائمة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة، ليعلم كل من يؤمن بالله ورسوله أني إن قتلت لأجل دين الله، وإن حبست فالحبس في حقي

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٩.
(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ١٦٣.
(٣) من كتاب «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية» لشيخنا: صلاح الدين مقبول أحمد.

من أعظم نعم الله علي، ووالله ما أطيق أن أشكر نعمة الله علي في هذا الحبس، وليس لي ما أخاف الناس عليه، لا إقطاعي ولا مدرستي ولا مالي ولا رياستي وجاهي[1].

فكان القاضي زين الدين بن مخلوف قاضي المالكية يقول بعد ذلك: ما رأينا أتقى من ابن تيمية، لم نبق ممكناً في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا[2].

وكان ـ حين أمر بالسكوت عن بيان معتقد السلف ـ يقول: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩] ولا يؤمر العالم بما يوجب لعنة الله عليه[3].

وكان من ضمن الكتب التي أبان فيها رحمه الله معتقد السلف كتاب الفتوى الحموية، نقل عن أهل العلم والسنة وعن غيرهم ما يبين مذهب السلف الصالح وكان يقول: وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه فى ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لايجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢١٥ .

(٢) «دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الحركات الإسلامية المعاصرة»، ص(٣١).

(٣) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦٦.

الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك، فهذا أولى[1].

ويقول: هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ فى المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية[2].

فرحمه الله وغفر له وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقد قام بالتعليق عليها إمام أهل السنة في عصره، وشيخ الإسلام في دهره، بقية السلف وقدوة الخلف، شيخنا وأستاذنا الفقيه المدقق والعالم المحقق الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله وغفر له، فقد كان شديد العناية بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، يوصي بها ويدرّسها ويحث عليها لما اشتملت عليه من تبيين لمنهج السلف وفق الكتاب والسنة.

قال رحمه الله في بعض دروسه: ومن أبرز العلماء وأولاهم بالاتباع والعناية: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني العلم المشهور شيخ الإسلام، هذا من أبرز العلماء وأفضلهم، ولا أعلم على حسب ما اطلعت عليه، لا أعلم في زمانه ولا بعد زمانه أعلم بالله ودينه وأتقى لله منه، فيما ظهر لي من كتبه ونشاطه وغيرته لله، رضي الله عنه ورحمه.

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٧٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٢٩.

ثم يليه في هذا تلميذه البار تلميذه الصادق العلامة ابن القيم رحمه الله، فهو من أكمل الناس علماً وفضلاً وتقوى، وهو جدير أيضاً بالعناية بكتبه، فكلاهما يُعتَمد على كتبه، فقد اعتنيا جميعاً بالأدلة الشرعية والعلل المرعية وترجيح الراجح وتزييف الزائف في مسائل الخلاف بكل عناية وبكل تجرد وبعد عن الهوى، وليسا معصومين، كل له أغلاط، كل له هفوات، ليسا معصومين لا شيخ الإسلام ولا العلاّمة ابن القيم رحمة الله عليهما ولا غيرهما من أهل العلم، كل له نصيبه مما أعطاه الله من العلم والفضل، وكل له أغلاط وله أخطاء، لكن هي بالنسبة إلى علمهم وفضلهم كقطرة في بحر، هكذا الأئمة الأربعة، هكذا أهل العلم، كل له بعض الأخطاء وبعض الأغلاط، على حسب بصيرتهم في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وعلى حسب ما بلغهم من العلم، فقد يبلغ العالم أكثر مما يبلغ العالم الآخر من الأدلة الحديثية، وقد يفهم من الكتاب العزيز ومن السنة النبوية ما لا يفهمه الآخر، فلهذا تفاوتوا وتفاوتت مراتبهم في العلم، فهم يختلفون في العلم والفضل، فهم طبقات.

وقد صنف أبو العباس بن تيمية رحمه الله كتاباً في هذا الشأن سماه: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وهو كتاب جدير بالعناية، كتاب مفيد مطبوع ويوزع، فهو كتاب جيد ومفيد يعرف به طالب العلم منازل العلماء وأعذارهم فيما قد يقع من الأخطاء والأغلاط.

فالحاصل أن أبا العباس ابن تيمية من خيرة أهل العلم، وجدير بأن يعتنى بكتبه وأقواله، وهكذا تلميذه العلاّمة ابن القيم رحمة الله عليه، وهكذا أئمة الدعوة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن سار في دعوته

ونصر دعوته وألَّف فيها هو جدير بالعناية، جدير بأن يعتنى بكتبهم وما قرروه في توحيد العبادة وفي الرد على أهل البدع وفي نصر السنة، فلهم في هذا حظ وافر ونصيب عظيم، رحمة الله عليهم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يعتبر في المعنى شيخاً للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، وإن كان بينهما مسافة طويلة من الزمان؛ لكنه في الحقيقة شيخ له لعكوف الشيخ الإمام محمد على كتبه والاستفادة منها ومن كتب ابن القيم ومن أشباههم من أهل العلم والبصيرة. انتهى

وسماحة شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله هو بحق امتداد لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم حيث حذى حذوهم في بيان معتقد السلف الصالح والرد على المخالفين، وقد بارك الله له في علمه، وكان محل ثقة المسلمين في حسن معتقده، لذا كان له القبول بين العلماء وطلاب العلم وعامة المسلمين، فالله يرحمه ويغفر له.

وها هي الفتوى الحموية مزينة بتعلقات سماحة الشيخ ابن باز بين يديك أخي المسلم، فتأملها ودقق النظر فيها تجدها لا تخرج عن فطرة الله التي فطر الناس عليها وأنها الحنيفية السمحة لولا أن الشياطين اجتالت بعض العباد عن فطرتهم، فالفطرة مكملة بالشريعة المنزلة، فإن الفطرة تعلم الأمر مجملاً والشريعة تفصله وتبينه وتشهد بما لا تستقل به الفطرة[1]. فإن الله فطر عباده على الحق والرسل بعثوا بتكميل الفطرة

---

(١) التحفة المهدية (١٩٩).

وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها[1].

فكن على يقين ولا تكن شاكاً في دينك، فإن من مات على الشك بعث عليه، ومن مات على اليقين بعث عليه.

وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء:

أحدها: تدبر القرآن.

والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق.

والثالث: العمل بموجب العلم[2].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾

[آل عمران: ٨].

* * *

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٣٣.

(كتاب الفتوى الحموية ومكانته عند الشيخ ابن باز رحمه الله)

الفتوى الحموية لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله:

نحن بحاجة إلى سماعها مائة مرة.

هذه رسالة عظيمة، أبان فيها الحق رحمه الله ورد على أهل الباطل، ونقل فيها نقولات عظيمة.

وهذا الكتاب «الحموية» من أحسن ما ألفه المؤلف، ومن أوضح ما يرد على هؤلاء المبطلين ويبين زيفهم وضلالهم واختلافهم وافتراقهم.

وهذا الكتاب الذي هو الحموية، كتاب عظيم جدير بالعناية، جدير بالحفظ، لما فيه من النقول عن السلف، وبيان الحق بأدلته، والرد على أهل الباطل من أهل الكلام والبدع من الفلاسفة والملاحدة، فهو كتاب عظيم مع اختصاره ومع وضوحه، وهو في الحقيقة من أحسن ما كتبه المؤلف رحمه الله.

ابن باز

عملي في الكتاب:

- نقل تعليقات الشيخ ابن باز رحمه الله.
- تخريج بعض الآثار التي لم يشر إلى مكانها شيخ الإسلام ابن تيمية.
- عزو الآيات إلى مصادرها.
- ترجمة للشيخين ابن تيمية وابن باز رحمهما الله.
- ترجمة لبعض من نقل عنهم شيخ الإسلام في هذه الفتوى.

والحمد الذي الذي بنعمته تتم الصالحات.

أبو سفيان

غزاي بن حمدان بن حسين الوهبي الأسلمي

ترجمة مختصرة عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

ابن تيمية الشيخ الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المجتهد المفسر البارع شيخ الإسلام علم الزهاد نادرة العصر تقي الدين أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني أحد الأعلام ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة وقدم مع أهله سنة سبع فسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر والكمال بن عبد وابن الصيرفي وابن أبي الخير وخلق كثير وعني بالحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ وخرج وانتقى وبرع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك وكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين والزهاد الأفراد والشجعان الكبار والكرماء الأجواد أثنى عليه الموافق والمخالف وسارت بتصانيفه الركبان لعلها ثلاثمائة مجلد حدّث بدمشق ومصر والثغر وقد امتحن وأوذي مرات وحبس بقلعة مصر والقاهرة والإسكندرية وبقلعة دمشق مرتين وبها توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة في قاعة معتقلاً ثم جهز وأخرج إلى جامع البلد فشهده أمم لا يحصون فحرزوا بستين ألفاً ودفن وإلى جنب أخيه الإمام شرف الدين عبد الله بمقابر الصوفية رحمهما الله تعالى ورئيت له منامات حسنة ورثي بعدة قصائد وقد انفرد بفتاوي نيل من عرضه لأجلها وهي مغمورة في بحر علمه فالله تعالى يسامحه ويرضى عنه فما رأيت مثله وكل أحد من الأمة فيؤخذ من قوله ويترك فكان ماذا[١].

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٦.

ترجمة عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

العلم النجم، والفقيه المحدث، إمام أهل السنة والجماعة في عصره، أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي الديار وعالم المسلمين، كان منقطع النظير في السخاء والجود، على مكانة عالية من الأخلاق الحميدة والسماحة والتواضع والزهد في الدنيا، محباً للعلم وأهله، ذا سماحة مع قوة وغيرة على دين الله وشجاعة غير اعتيادية في إنكار المنكر، بحر خضم وعلم غزير، كان له جهود عظيمة في محاربة الخرافات والبدع والمنكرات، ومن ذلك المحاريب الأربعة التي كانت تقام في الحرم الشريف لأصحاب المذاهب الأربعة، كان شديد التمسك بالحديث والأثر، كثيراً ما يدلل في ترجيحاته على أقوال الصحابة رضي الله عنهم، كانت له اليد الطولى في بلاد الحرمين في التمسك بالدليل وترجيح الراجح وعدم التعصب للمذهب، امتحن في مسألة الطلاق الثلاث وثبت رحمه الله وجرى له ما جرى مما لا يخفى على أهل العلم ومن لهم عناية به.

كان مداوماً على التدريس والفتيا ومساعدة الآخرين والشفاعة لهم في أمور دنياهم حتى آخر أيامه.

توفاه الله فجر يوم الخميس، في السابع والعشرين من شهر الله المحرم سنة ١٤٢٠ هـ رحمه الله وأجزل له الأجر والثواب.

عبد العزيز الباز يوم توفي ... هَدَّ رُكْناً ما كان بالمهدود
ما درى النعش ولا حاملوه ... ما على النعش من عفاف وجود[١]

(١) مقتبسة من قصيدة.

الكواكب الدرية
من تعليقات سماحة الشيخ ابن باز
على الفتوى الحموية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سئل شيخ الإسلام العالم الرباني تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية رحمه الله تعالى:

ما قول السادة العلماء أئمة الدين في آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] إلى غير ذلك من آيات الصفات وأحاديث الصفات كقوله: «إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن» وقوله: «يضع الجبار قدمه في النار» إلى غير ذلك وما قالت العلماء فيه وابسطوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى.

فأجاب رضي الله عنه:

الحمد لله رب العالمين، قولنا فيها ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال سماحة الشيخ ﷺ: وهذا هو الحق على جميع الخلق، وهو اتباع ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، ودرج عليه سلف الأمة في باب الإيمان، في باب الإسلام، في باب الأسماء والصفات، في باب الأعمال.

يجب سلوك مسلك السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ والسير على ذلك والاستقامة على ذلك، وترك ما خالف ذلك من أقوال المتأخرين.

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته؛ محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه.

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول.

قال سماحة الشيخ ﷺ: لأن أصل الدين هو الأساس، فأفضل ما أدركته القلوب والعقول، وأفضل ما فعله الناس هو الإيمان بالله ورسوله والإخلاص لله، والتصديق بأنه الحق وأنه المعبود بالحق، وأن رسوله محمداً حق، وأن ما جاء به حق.

هذا هو أصل الدين وأساسه، ولا طريق إلى هذا إلا بالكتاب والسنة.

فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً !؟

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال: «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[(١)] وقال فيما صح عنه أيضاً: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»[(٢)].

وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»[(٣)] وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤/ ١٢٦ وابن ماجه في المقدمة (٤٣) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين.

(٢) رواه مسلم (٤٦) كتاب الإمارة/ باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول.

(٣) أحمد ٥/ ١٥٣، ١٦٢. والطبراني في الكبير (١٦٤٧) من حديث أبي ذر ﷺ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٦٦: رواه أحمد والطبراني ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة وفي إسناد أحمد من لم يسم.أهـ، وابن حبان كما في (الإحسان ١/ ٦٥) وقال إسناده صحيح، ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء ﷺ كما ذكر الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٦٧ وقال: ورجاله رجال الصحيح.

(٤) (٣١٩٢) كتاب بدء الخلق / باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وإن دقت، أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟!

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة ـ القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع

أما الأول فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته.

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: الوجدانية، لأن المقصود معرفة صفاته وأسمائه، والإيمان بذلك، أنه رب العالمين وأنه الحق المبين وأنه العالم بكل شيء والقادر على كل شيء، وأنه سبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فهذا المقام هو أشرف المقامات وأعظم المقامات، وهو أشرف الملة والدين.

أما الكيفية لا يعلمها إلا هو، فلا يعلم كيف استواؤه إلا هو، ولا كيف نزوله ولا كيف قدمه ولا كيف يده ولا كيف وجهه إلا هو سبحانه وتعالى، وهكذا الذات.

فالمقصود من هذا كله أن الله جل وعلا بعث محمداً ﷺ وأنزل الكتاب ببيان أسمائه وصفاته وبيان حقه على عباده، وبيان ما يجب أن يعتقد فيه سبحانه، وهذا أشرف المطالب وأعظم المكاسب، ولهذا بينه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبينه خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أعظم بيان، أعظم من بيان العبادات الأخرى.

هذه رسالة عظيمة، أبان فيها الحق ﵀، ورد على أهل الباطل، ونقل فيها نقولات عظيمة تأتي إن شاء الله.

فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؟!

هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضاً عن الله وأعظمهم إكباباً على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم، ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه، ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها: من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف

أعلم وأحكم، وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً.

> **قال سماحة الشيخ** رحمه الله: إذا كانت من بعض العلماء قد تأول على معنى صحيح، لكن ما ظهر لي وجه، هذه الزيادة ما ظهر لي وجهها.

فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف؛ إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

> **قال سماحة الشيخ** رحمه الله: والمعنى في هذا أن السلف هم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأعلم الناس باللغة العربية، فطريقتهم هي الأعلم وهي الأحكم وهي الأسلم، لأن التأويلات هي الخطر العظيم التي سلكها المتأخرون، وأما السلف فقبلوا النصوص.

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان مع ذلك لابد للنصوص

من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف، وهي التي يسمونها طريقة الخلف، فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا غلط، كلاهما غلط، فليست طريقة السلف التفويض، وليست طريقة الخلف بصواب، فطريقة السلف الإيمان بالمعنى والتسليم لله عز وجل وأنه حق وأنه لائق بالله لا شبيه له فيه سبحانه وتعالى، ليسوا مفوضين، بل مؤمنين، يؤمنون بالألفاظ والمعاني، معتقدين المعاني، مسلّمين لها على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى.

والتفويض معناه أن يقول: ما نعرف المعنى، فسموا مفوضة، وهذا غلط.

المفوضة في بعض ما جاء عن الإمام أحمد قال: «هم شر من الجهمية» لأنهم اعتقدوا أن الله خاطب الناس بشيء لا يفهمونه، وهذا غلط، بل خاطب الناس بما يعلمونه ويفهمونه على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، لهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أخبرهم بالمعنى وأنه حق، وأنه ليس من جنس ما يفهمون، بل هو معنى لائق بالله سبحانه وتعالى.

أما التأويل وصرف الأمور عن ظاهرها والنصوص؛ فهذا باطل قادهم إليه سوء ظنهم بالله وعدم بصيرتهم.

فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه.

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين؛ كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أميين بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقّائق العلم بالله ولم

يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله.

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة، كيف يكون هؤلاء المتأخرون ـ لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين ـ الذين كثر في باب الدين اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك العالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. أهـ[١].

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ٩٦ .

ويقول الآخر منهم: لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي. أهـ[1].

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام[2].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمقصود من هذا: أن هؤلاء الذين ابتلوا بالكلام وكثّروا البحث في هذه الأمور، ونقلوا عن أصحاب الكلام وأهل الحيرة مما نقلوا، في الحقيقة أنهم ما استفادوا شيئاً، وندم الكثير منهم على ما فعل، وكان آخر كلامه ما ذكره المؤلف.

وهذا كله يبين لنا أن الواجب على أهل العلم التمسك بما كان عليه السلف الصالح من تعظيم كتاب الله والأخذ به، والأخذ بالسنة والثبات عليها، ونبذ ما خالف ذلك، وعدم الخوض في آيات الصفات وأحاديثها بما يقوله أصحاب الكلام الذين كثر في باب أسماء الله وصفاته اضطرابهم، وغلظ عن معرفة الله حجابهم، بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فلم يستفيدوا من بحثهم إلا قيل وقالوا، وإلا الخوض الباطل الذي لا نتيجة له.

فيكفي في الإثبات ما جاء في نصوص الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠].

(١) درء تعارض العقل والنقل/ ٨-٤٧ عن الجويني.

(٢) الصواعق المرسلة ٤/ ١٢٦١ـ١٢٦٢.

ويكفي في النفي نصوص النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وأشباهها.

وهذه كافية في الإثبات والنفي، في إثبات أسماء الله وصفاته على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

فمن قال إن هؤلاء المتأخرين أعلم وأحكم؛ فقد غلط غلطاً عظيماً، وقد فقد صوابه، وقد أصيب في عقله وفي علمه، فإن أهل السنة والجماعة الذين سبقوا إلى هذا الأمر؛ هم أعلم بالله وأحكم في أقوالهم وأفعالهم، وهم سلكوا الطريق التي هي السلامة، وهي طريق الحكمة، وهي طريق العلم، وطريق الفقه في الدين، وطريق التأدب مع الله ومع رسوله.

فهم أولى بالله وأولى برسوله من هؤلاء المتأخرين.

فمن قال: إن الخلف أعلم وأحكم، والسلف أسلم؛ فقد قال الباطل، وغلط غلطاً عظيماً لا وجه له، بل السلف الصالحون هم أعلم وأحكم وأسلم، والمتأخرون هم أقل علماً وأكثر تخلفاً وأقل حكمة وأقل بصيرة، نسأل الله السلامة.

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر، كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: المتهوك الذي يقول بغير علم ويتصرف بغير علم.

أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين

الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برّزوا.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: برّزوا يعني امتازوا، برّز من التبريز الذي هو الامتياز، أما برَزوا ظهروا.

به على سائر اتباع الأنبياء، فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا يبين لك أن ما تقدم من قول المؤلف: «وإن كانت هذه العبارة لو صدرت من عالم لأمكن أن يكون لها معنى» هذا ليس بشيء، وأن هذه (والله أعلم) مدخلة على المؤلف وليس لها أصل في كلامه، لأنها عبارة خبيثة في حق من قالها: أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، هذه لا يقولها عالم ولا متبصر ولا عاقل يعقل ما يقول، هذا غلط قبيح.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة، لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟

أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم، أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟

وإنما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوك إنما

استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه وبشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحداً معيناً، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء.

وإذا كان كذلك، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك:١٧].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] عند أهل العلم تفسر بوجهين، أحدهما: أن «في» بمعنى على، فيكون معنى ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني على السماء، فيشمل علوه في السماوات والعرش وأنه فوق العرش.

وفي التفسير الثاني: أن تكون السماء بمعنى العلو، وتكون «في» على بابها الظرفية، وأن المعنى ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني في العلو، والمراد بالعلو هنا ما فوق العرش.

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:١٥٨] ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤].

﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، في ستة مواضع.

قال سماحة الشيخ ﷺ: في ستة مواضع، معناه غير الموضع الذي ذكره، فهي سبعة مواضع.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [الأنعام: ١١٤]، إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة.

قال سماحة الشيخ ﷺ: كل هذه طرق، معناها أنها طرق كلها دالة على علو الله وفوقيته وأنه فوق العرش فوق جميع الخلق ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] كذلك ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج: ٤] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] الصعود والعروج إلى العلو والرفع كذلك، وهكذا ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١] إلى غير هذا، كلها من الطرق الدالة على علوه سبحانه وفوقيته جل وعلا.

وفي الأحاديث الصحاح.

قال سماحة الشيخ ﷺ: الصحاح بالكسر جمع صحيح، صحيح وصحاح، وذاك كتاب الجوهري يقال فيه الصَّحاح والصِّحاح، أما هنا فيما يظهر بالكسر، صحيح صِحاح، مثل عظيم عظام، كريم كرام، فعيل بمعنى فعال.

والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة، مثل قصة معراج الرسول إلى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: «فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم»(١).

وفي الصحيح في حديث الخوارج: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»(٢) وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع» قال رسول الله ﷺ: «إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء» وذكره(٣).

وقوله في حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما(٤) وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «أين الله؟ قالت: في السماء، قال من أنا؟ قالت: أنت

---

(١) رواه البخاري (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة/ باب فضل صلاة العصر، ومسلم (٦٣٢) كتاب المساجد/ باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٤٣٥١) كتاب المغازي/ باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، ومسلم (١٤٤) كتاب الزكاة/ باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٣) رواه أبو داود (٣٨٩٢) كتاب الطب/ باب كيف الرقي؟.

(٤) المسند ١/ ٢٠٦، وأبو داود (٧٤٢٣) كتاب السنة/ باب في الجهمية.

رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة».

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا رواه مسلم في الصحيح(١).

وقوله في الحديث الصحيح: «إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي»(٢)

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا متفق عليه في الصحيحين.

وقوله في حديث قبض الروح: «حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله تعالى»(٣).

وقول عبدالله بن رواحة الذي أنشده للنبي وأقره عليه:

شهدت بأن وعد الله حق … وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف … وفوق العرش رب العالمينا(٤)

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفي الذي أنشد للنبي هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال: «آمن شعره وكفر قلبه»(٥) حيث قال:

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧) كتاب المساجد/ باب تحريم الكلام في الصلاة، من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧] ومسلم (١٤-١٦)كتاب التوبة/ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٣٦٤ وابن ماجه(٤٢٦٢) كتاب الزهد/ باب ذكر الموت والاستعداد له.

(٤) قال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على الطحاوية: قال ابن عبدالبر: رويناه من وجوه صحاح. وقال الذهبي في العلو«(١٠٦) معقباً عليه: روي من وجوه مرسلة.» ثم ذكرها.

(٥) التمهيد لابن عبدالبر ٤/ ٧.

مجـدوا الله فهـو للمجـد أهـل	ربنـا في الـسماء أمـسى كبـيراً
بالبناء الأعلى الذي سبق الناس	وسـوى فـوق الـسماء سريـراً
شرجعـاً مـا ينالـه بـصر العـين	تـرى دونـه الملائـك صـورا

وقوله في الحديث الذي في المسند: «إن الله حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً»(١) وقوله في الحديث: «يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يا رب»(٢) إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية إن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفاً.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمقصود من هذا كله واضح في أن الأدلة المتواترة المستفيضة من السنة وعن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ ما يؤيد ما في القرآن من علو الله وفوقيته، مع أن النص القرآني كافٍ، ونص السنة كافٍ، ثم إجماع سلف الأمة، فقد اجتمعت في هذه الأصول كلها: القرآن والسنة والإجماع، كلها مجتمعة على إثبات علو الله فوق جميع خلقه، وأنه فوق العرش، وأنه فوق جميع الخلق وعلمه في كل مكان سبحانه وتعالى.

(١) رواه أبو داود (١٤٨٨) كتاب الصلاة/ باب تفريع أبواب الوتر، والترمذي (٣٥٥٦) كتاب الدعوات.

(٢) رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة/ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

ثم يأتي هؤلاء الضالون الزنادقة من جهمية ومعتزلة، وينكرون هذا الأمر العظيم المتواتر المستفيض.

هذا من أمحل المحال وأضل الضلال، نسأل الله العافية.

ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً.

ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني إن هذه الأقوال من كلام أهل البدع، وهو كلام منكر.

أما السلف الصالح فقد طهرهم الله من هذا، فقولهم واحد، وهو إن الله فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، قد استوى على العرش، يعني استواء يليق بجلاله وعظمته، وهو في السماء في العلو فوق جميع الخلق وفوق العرش بالذات بالنص، قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه الخلق في شيء من صفاته جل وعلا.

ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا إنه لا متصل ولا منفصل،

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا من كلام الجهمية الباطل، وهو يقتضي العدم، هذا الكلام يقتضي العدم، نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة

يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «ألا هل بلغت»؟

فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: «اللهم اشهد»(١) غير مرة وأمثال ذلك كثيرة.

فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً؛ فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق؟

ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً، حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها؟

لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: النص الذي لا يحتمل، والظاهر الذي قد يؤول.

لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين.

---

(١) رواه مسلم (١٤٧) كتاب الحج/ باب حجة النبي ﷺ.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني على هذا الرأي الفاسد، وبهذا يعلم أن منهج الإسلام بطلان ما عليه أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات والملحدين في ذلك، والله المستعان.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً، لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم، فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به، سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وبهذا يتبين للمؤمن العاقل وأهل البصيرة أن ما جاء به الكتاب والسنة، ودرج عليه سلف الأمة هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو الهدى الذي ليس بعده إلا الضلال في إثبات أسماء الله وصفاته، وأنه فوق العرش جل وعلا، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأن ما قاله هؤلاء الضالون من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة وأشباههم ممن حرفوا وبدلوا وغيّروا؛ أن هؤلاء هم المبطلون، هم الضالون، هم المنحرفون، هم المتهوكون، نسأل الله السلامة.

ثم هم ههنا فريقان: أكثرهم يقولون ما لم تثبته عقولكم فانفوه، ومنهم من يقول بل توقفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع من على وجه الأرض فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم؛ فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الألفاظ

وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه، ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة، وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين.

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم، وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول، والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته؛ أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علماً وعملاً بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل، إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين أو الصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان، أو عمن قال كقولهم لتشابه قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ الآية [البقرة: ٢١٣].

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا شفاءً لما في الصدور ولا نوراً ولا مرداً عند التنازع، لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصاً ولا ظاهراً، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾؟ لقد أبعد النجعة، وهو إما ملغز وإما مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة؛ خيراً لهم في أصل دينهم، لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة.

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر، ولا أحد من

سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا كذا وكذا، فإنه الحق، وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، أو انظروا فيها، فما وافق قياس عقولكم فاقبلوه، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه؟.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذه الكلمات التي قالها المؤلف واضحة في إبطال ما عليه أصحاب الكلام من الخوض في أسماء الله وصفاته وعظيم حقه جل وعلا بالباطل، وأنهم جعلوا عقولهم فيها مقياساً. فما أثبتته عقولهم واستحسنته عقولهم أثبتوه، وما لا، نفوه أو توقفوا فيه.

وهذا الذي قالوه في غاية الباطل وغاية الضلال والبعد عن الحق.

وقد أوضح رحمه الله في هذا المقال غاية الإيضاح بطلان ما هم عليه، فإنهم في الحقيقة لم يلتفتوا إلى كتاب الله ولا إلى سنة رسوله ﷺ، وإنما حكموا عقولهم ومقاييسهم وما نقلوه عمن قبلهم من صناديد الضلالة وزعماء الكفر من سائر الكفرة من صابئة ومجوس وغيرهم من أنواع الضلاّل، ثم حكموا هذه العقول والآراء التي لا سند لها يعتمد عليه، وإنما هو استحسان فلان وفلان، فبأي عقل توزن هذه الأمور؟

بعقل فلان أوفلان، أو الطائفة الفلانية المارقة المضطربة المختلفة؟

سبحان الله ما أعظم شأنه !!

هذا هو الباطل، وهذا هو الضلال البعيد، ولهذا أوضح المؤلف بهذا الكلام العظيم المتين المصيب؛ بطلان ما هم عليه، وأن أصحاب الكلام في الحقيقة لم يحكّموا كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، وإنما حكّموا أهواءهم وآراءهم وآراء من قبلهم من الضلاّل، وشابهوا بذلك الجاهلية فيما يفعلون من التحاكم إلى الكهنة وإلى غيرهم من صناديدهم وكبرائهم، ثم لا يزيدهم هذا إلا بعداً وضلالاً، فقد يقتتلون ويتناحرون ولا يقبلون عقل فلان ولا

فلان، وهذه هي النتيجة التي فعلها هؤلاء، اختلفوا وتناحروا فيما جاء به الكتاب والسنة، فهؤلاء مثّلوا وهؤلاء عطّلوا وهؤلاء توقّفوا وفوّضوا، فصارت أقوالهم في غاية من الانحراف والضلال.

أما أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ هم الذين اهتدوا إلى الصراط المستقيم، ووفقوا للحق، وصاروا يداً واحدة وجسداً واحداً وبناءً واحداً في اتباع الحق والتمسك به، والرد على من خالفه.

ولازم قول هؤلاء الضالين؛ نسف الكتاب والسنة، وأن هذا الكتاب والسنة لا محل لهما، وأن مجيئهما ما زاد هؤلاء إلا ضلالاً وفتنة وشبهة، وما زادهم خيراً.

فالكلام بهذا المقال الذي يقتضي إبطال الكتاب والسنة؛ كفى به قبحاً وكفى به ضلالاً وبعداً عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به نبيه الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام.

وهذا الكتاب «الحموية» من أحسن ما ألفه المؤلف، ومن أوضح ما يرد على هؤلاء المبطلين ويبين زيفهم وضلالهم واختلافهم وافتراقهم، وأنهم على غاية من البعد عن الهدى، وعلى غاية من الضلالة، وأنه لا سبيل لهم إلى الصواب إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، كما قال عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وهو سبحانه أعلم بنفسه وأعلم بغيره، ورسوله أعلم بربه سبحانه وتعالى فما أخبر به الله عن نفسه، أو أخبر به الرسول عن ربه فهو الحق والصواب، وما خالفه فهو الباطل والضلال.

نسأل الله لنا ولكم العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم رسول الله قد أخبر أن أمته ستفترق علي ثلاث وسبعين فرقة، فقد علم ما سيكون، ثم قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله»[1].

وروي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[2].

فهلا قال: من تمسك بالقرآن أو بدلالة القرآن أو بمفهوم القرآن أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهو ضال؟ وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة في هذه المقالة؟ وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمقصود من هذا أن الرسول ﷺ بيّن مثل ما بيّن الله في كتابه، وأن الواجب على الأمة اتباع الشرع والتمسك بالشرع، ولهذا قال: «تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»[3] وهذه الواحدة هي التي ثبتت على الحق والتزمت بالحق بفعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، ولهذا جاء في رواية أخرى: «وهي الجماعة»[4] وفي سنن الترمذي: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[5].

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٨٨) كتاب المناقب/ باب في مناقب أهل بيت النبي ﷺ.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١) كتاب الإيمان/ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٣) السنة لابن أبي عاصم ٦٢-٦٩.

(٤) ابن أبي عاصم في السنة.

(٥) كتاب الإيمان/ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٢٦٤١).

فالفرقة الناجية هم أهل الاستقامة، وهم الذين تمسكوا بكتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام وعظّموهما ووالوا عليهما وعادوا عليهما، فلو كان الحق في خلاف ذلك لبين وقال: إنما الحق بما ترونه بعقولكم أو ما يُراه أشياخهم بعقولهم أو ما أشبه ذلك.

فدل ذلك على أن ما افتروه من الكذب الذي هو تحكيم العقول وتقديم الآراء؛ هو من أبطل الباطل وأضل الضلال.

ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فان أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك ـ هو الجعد ابن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه.

وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم: اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ.

وكان الجعد بن درهم هذا ـ فيما قيل ـ من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ـ بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين، الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم ـ ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر، والنجاشي ملك الحبشة، وبطليموس ملك اليونان، وقيصر ملك الروم، فهو اسم جنس لا اسم علم.

فكانت الصابئة ـ إلا قليلاً منهم ـ إذ ذاك على الشرك، وعلماؤهم هم

الفلاسفة؛ وإن كان الصابئ قد لا يكون مشركاً، بل مؤمناً بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والحاصل المقصود من هذا؛ أن هؤلاء وأشباههم؛ وإن كان أصلهم الذم وأنهم من عبّاد الأوثان وعبّاد النجوم وعبّاد الأصنام من الصابئة الذين يرأسهم النمرود بن كنعان المعروف، وهكذا غيرهم من الكفرة من الروم والمجوس والحبشة وغيرهم من أنواع الكفرة؛ كل هؤلاء إذا دخلوا في دين الله وهداهم الله؛ خرجوا عما هم عليه من الباطل، وصاروا مع المؤمنين، ودخلوا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وهم مذمومون وكفرة وملعونون ويجب قتالهم وجهادهم، لكن من دخل منهم في الإسلام وخرج عن دين أسلافه وآبائه؛ خرج عن ذلك الذم وذلك الكفر، وصار مع إخوانه المؤمنين، ممن عفا الله عنهم سبحانه وتعالى.

فإن الأحكام تدور مع عللها وأوصافها، فمن تخلق بالباطل واتصف بالباطل فهو مع أهل الباطل، ومن خرج عن ذلك وتاب إلى الله واستقام على دين الله ؛ صار مع أهل الإيمان والهدى، ولم يضره كونه من الصابئين أو كونه من اليهود أو كونه من المجوس أو كان من كذا، لا يضره، مادام تاب إلى الله وخرج عما هو عليه من الباطل إلى الحق، صار من عباد الله المقربين ولم يضره أصل.

لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً أو مشركين، كما أن كثيراً من اليهود والنصارى بدّلوا وحرّفوا وصاروا كفاراً أو مشركين، فأولئك الصابئون ـ الذين كانوا إذ ذاك ـ كانوا كفاراً أو مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل.

ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حران، وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضاً ـ فيما ذكره الإمام أحمد وغيره ـ لما ناظر «السمنية» بعض فلاسفة الهند ـ وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ـ فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين[١] والمشركين، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين.

ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية؛ زاد البلاء، مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم.

ولما كان في حدود المائة الثالثة، انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته، وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي وغيرهم: كثير في ذمهم وتضليلهم.

---

(١) في نسخة: «والنصارى».

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس ـ مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات، وذكرها أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه «تأسيس التقديس» ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء، مثل أبي علي الجبائي، وعبدالجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء بن عقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم ـ هي بعينها تأويلات بشر المريسي.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يقال له بشر المرّيسي والمرِيسي، بالتشديد والتخفيف، نسبة إلى قرية في مصر.

التي ذكرها في كتابه؛ وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضاً، ولهم كلام حسن في أشياء.

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني تناقلوها وتوارثوها، وهكذا من بعدهم تناقلوا شبهات المشركين الأولين، وشبهات الجهمية والمعتزلة، تناقلها من بعدهم وتوارثوها وشبهوا بها، والعصمة ـ مثل ما تقدم ـ العصمة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، والحذر من هذه التأويلات والشبهات التي أوردها هؤلاء وشبهوا بها على الناس، حتى ضل بها كثير من الناس، والواجب هو ما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام، من وجوب إثبات صفات الله وأسمائه، وإمرارها كما جاءت في القرآن العظيم والسنة المطهرة، على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل على مقتضى قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فجميع صفاته سبحانه لا يشابه بها خلقه، بل هو منزه عن مشابهة خلقه، وهي حق، وثبتت له سبحانه على وجه الكمال الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، خلافاً لما تأولته الجهمية وأشباههم.

ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي، أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صنف كتاباً سماه: «رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين، الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي؛ علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم.

ثم إذا رأى الأئمة - أئمة الهدى - قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي؛ تبين الهدى لمن يريد الله هدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال سماحة الشيخ ﷺ: وما ذاك إلا لأن هؤلاء تكلموا بكلام يخالف نص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلهذا كفرهم أكثر الأئمة وضللوهم وبدعوهم، وهم الجهمية نفاة الصفات ونفاة الأسماء، ولهذا كتب فيهم الأئمة كعثمان بن سعيد الدارمي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم ممن كتب بهذا الباب، للرد على هؤلاء المجرمين.

فالمقصود من هذا: النصح لله ولعباده، وبيان ما أبطلوا فيه وما وقعوا فيه من الفساد الذي ضللوا به الناس.

والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير وينظر.

قال سماحة الشيخ ﷺ: لعلها: يسبُر بالباء، يسبُر الأشياء: يتأملها ويتدبرها.

وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة، لا يمكن أن نذكر ههنا إلا قليلاً منه، مثل كتاب السنن للالكائي، والإبانة لابن بطة، والسنة لأبي ذر الهروي، والأصول لأبى عمرو الطلمنكي، وكلام أبي عمر ابن عبدالبر، والأسماء والصفات للبيهقي، وقبل ذلك السنة للطبراني، ولأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي عبد الله ابن منده، ولأبي أحمد العسال الأصبهانيين، وقبل ذلك السنة للخلال، والتوحيد لابن خزيمة، وكلام أبي العباس ابن سريج، والرد على الجهمية لجماعة: مثل البخاري، وشيخه عبد الله بن محمد بن عبد الله الجعفي، وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد، والسنة لأبي بكر ابن الأثرم، والسنة لحنبل، وللمروزي، ولأبي داود السجستاني، ولابن أبي شيبة، والسنة لأبي بكر ابن أبي عاصم، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم.

وكلام أبي العباس عبدالعزيز المكي صاحب الحيدة في الرد على الجهمية، وكلام نعيم بن حماد الخزاعي، وكلام غيرهم، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن سعيد، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأمثالهم، وقبل لعبدالله بن المبارك.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني كل هؤلاء تكلموا في الرد على الجهمية والمعتزلة ومن خرج عن الطريق من أصناف أهل البدع، وإنما فعلوا هذا؛ ليس لقصد الغيبة وليس لقصد التشفي، وإنما القصد النصح لله ولعباده، وبيان هذه الضلالات حتى يحذرها الناس.

وأمثاله وأشياء كثيرة.

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره.

وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة، ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى، فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير.

فإذا كان أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل والتأويل - مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود؛ فكيف تطيب نفس مؤمن، بل نفس عاقل؛ أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟

قال سماحة الشيخ رحمه الله: مقصوده - رحمه الله - أنه يكفي في رد هذه الشبهة التي شبهوا بها على أهل السنة، يكفي في ردها أنها مأخوذة عن الصابئة والمشركين واليهود، فكيف يرضى عاقل أن يأخذ سبيلهم ويسلك منهجهم، ويدع سبيل المؤمنين أتباع الرسول ﷺ وأتباع الصحابة؟!

كل عاقل يكفيه هذا، من غير حاجة إلى أن ينظر فيها، ما دامت من سبيل الضالين والمغضوب عليهم؛ فهذا كافٍ في ردها وإبطالها وتعطيلها، مع أن ردها وإبطالها من أوضح الواضحات عند أهل الحق.

فصـــل

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب؛ أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث.

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث»(١).

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٧٥-١٨٥، وابن بطة في الإبانة (٢٥٢/ ٣) الرد على الجهمية - باب جامع من أحاديث الصفات رواها الأئمة والشيوخ الثقات.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني لا ينبغي تجاوزهما، وهؤلاء تجاوزوا القرآن والحديث.

ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق، ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء، لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة؛ فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولافتقار المحدَث إلى محدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله؛ فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: أهل السنة والجماعة ليسوا مع أهل التعطيل ولا مع أهل التمثيل، بل هم بين هؤلاء وهؤلاء، فلا مع المعطلة ولا مع

الممثلة، ولكنهم يثبتون صفات الله وأسماءه كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، فكما أنهم يثبتون ذاته على وجه لا تشبه الذوات؛ فهكذا يثبتون صفاته على وجه لا تشبه الصفات، هكذا أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم، فقبلوا النصوص، وأثبتوا ما دلت عليه وأنه حق، ونفوا عنها التشبيه والتمثيل، عملاً بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أما أهل التعطيل وأهل التمثيل؛ فكلهم انحرفوا عن الطريق وحادوا عن سواء السبيل، فليسوا مع أهل السنة والجماعة في إثبات ولا في تنزيه، بل عطلوا آيات الله وعطلوا أسماءه وصفاته، وشبهوا الله بخلقه، وحادوا عن سواء السبيل، فصاروا بذلك ملاحدة ضالين عن الحق، قد أخطئوا السبيل وخالفوا ما جاءت به النصوص، فلهذا عابهم أهل السنة ونفّروا عنهم وصاحوا بهم من كل مكان وحذروا الناس من سبيلهم الرديء.

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل، فهو جامع بين التعطيل والتمثيل، أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثّلوا أولاً وعطّلوا آخراً، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى أنهم أتوا من فهمهم الرديء، فإنهم ما فهموا من النصوص إلا التشبيه لأسماء الله وصفاته بالخلق، فلهذا عطّلوا ونفوا الصفات، فلم يفهموا من اسمه بأنه السميع والبصير والعليم والحكيم

والقدير، وفهموا من وصفه بالوجه واليد ونحو ذلك؛ إلا مشابهة المخلوقين، فأُتوا من هذا السبيل، وأُتوا من فهمهم الباطل، ثم فرّوا من هذا التشبيه بزعمهم، ووقعوا في تشبيه أقبح وبتمثيل أقبح، حتى شبهوا الله بالمعدومات والجمادات والناقصات، فصار تشبيههم هذا الأخير أشد من التشبيه الذي فروا منه، ولهذا صاروا في غاية من البطلان.

وهكذا سنة الله في أهل الباطل: ما فروا من شيء إلا وقعوا في أبطل منه وأشر منه، نسأل الله العافية.

فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً، وكل ذلك من المحال، ونحو ذلك من الكلام؛ فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، أما استواء يليق بجلال الله تعالى ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها، كما يلزم من سائر الأجسام، وصار هنا مثل قول الممثل: إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهراً أو عرضاً، وكلاهما محال، إذ لا يعقل موجود إلا هذان، وقوله: إذا كان مستوياً على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك؛ إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كليهما مثّل وكليهما عطّل حقيقة ما وصف الله به نفسه، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط، من أن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك.

ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم؛ فكذلك هو سبحانه فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا هو الواجب، ولهذا درج أهل السنة على ذلك، فأثبتوا لله العلو والاستواء فوق العرش على الوجه اللائق به، من دون أن يشابه خلقه في استوائهم على سطوحهم، أو على أفلاك سيرهم، أو نحو ذلك، فهكذا وصفه بأنه سميع وبأنه بصير وبأنه عليم وبأنه قدير؛ لا يلزم منه مشابهة المخلوقين، فإن علم المخلوقين يعتريه الجهل، يعتريه النسيان، وهكذا قدرتهم يعتريها الضعف والعجز، وهكذا سمعهم وأبصارهم، يعتري سمعهم الصمم، ويعتري أبصارهم العمى والضعف.

أما سمع الله وبصره فهو كامل، لا يعتريه شيء سبحانه وتعالى، وهكذا قدرته وعلمه ملازم لذاته، فهو عليم بكل شيء دائماً، ولا يعتري هذا العلم نسيان ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] ولا يعتريه جهل سبحانه، بل هو العالم بكل شيء، وهكذا قدرته كاملة لا يعتريها شيء من النقص، بخلاف المخلوقين، فإنهم محل النقص أولاً وآخراً.

واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريق السلفية أصلاً، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وقوله: «سهل يسير» حل الشبهة، لأنه إذا تدبر القرآن وأراد الحق؛ فإن شبهه كلها تزول، ويكفيه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ

كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] تقضي على شبههم كلها.

هكذا قوله جل وعلا: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فمن تدبر القرآن ونظر فيه بعين البصيرة وطلب الحق؛ هداه الله طريق الحق، وإنما أتي أولئك بإعراضهم عن القرآن وبإعراضهم عن السنة، وبتحكيمهم عقولهم، وبتقليدهم لأهل الضلالة، فهلكوا كما هلك من قلدوه.

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة ـ من المتأولين لهذا الباب ـ في أمر مريج.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: «في أمر مريج» يعني في أمر مختلف مضطرب، لما خالفوا الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة؛ اضطربوا واختلفوا وتنوعت آراؤهم، وهكذا أهل الباطل، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] يعني في أمر مختلف مضطرب، عمِيَ عليهم به الحق بسبب إعراضهم عن الأدلة الشرعية، فوقعوا في الاختلاف والاضطراب.

فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علماً وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك؛ يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في الجنة؛ يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش؛ يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني اضطربت عقولهم واضطربت أفهامهم لما أعرضوا عن الحق، فكل طائفة تزعم أن العقل أحال الحق الذي أنكرته، فصاروا بهذا ضالين مضلين مجرمين، لأنهم عدلوا عن الحق وعن الصراط المستقيم إلى آرائهم وإلى عقولهم.

وعلى أي عقل يوزن الكتاب والسنة وبأي عقل؟

فإن العقول مضطربة ومختلفة، فيها السقيم وفيها الصحيح وفيها المختلط، فليست ميزاناً، وإنما الميزان ما قاله الله ورسوله، هذا هو الميزان، فمن حاد عن هذا الميزان اضطرب ووقع في الفساد.

ويكفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء؛ أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدّعي الآخر أن العقل أحاله.

فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة!؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: «أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد لجدل هؤلاء»(١).

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى أن جدلهم لا ينتهي، هذا يجادل بكذا، وهذا يجادل بكذا، وهذا يجادل بكذا، مما يملي عليهم الشيطان، فليس لأحد أن يميل إلى هؤلاء فيدع ما جاء به الرسول ﷺ مما تلقاه عن الله بواسطة جبرائيل عليه الصلاة والسلام، بل يجب التمسك بما جاء عن الله ورسوله، وما استقرت عليه الأسانيد الصحيحة، وما دل عليه كتاب الله، ولا يلتفت إلى جدال من جادل وإلى تأويل من أوّل وإلى خصومة من خاصم،

---

(١) الإبانة لابن بطة ٢/ ٥٠٧، باب ذم المراء والخصومات في الدين.

بل يُرد عليهم بالكتاب والسنة وتزيّف أقوالهم، وينهى عن سماع أقوالهم، ويبين باطلهم حتى يحذرهم الناس، ولهذا قال الشافعي رحمه الله: «حكمي في أهل الكلام (الذين يروّجون الكلام ويحكمون العقول، قال: حكمي فيهم) أن يضربوا بالجريد والنعال، وأن يطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من خرج عن الكتاب والسنة وحكّم العقل (أو قال:) وأخذ بالكلام»(١).

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر وهو من وجوه:-

أحدها: بيان أن العقل لا يحيل ذلك.

والثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

والثالث: أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار، كما أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا، بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية في الحج والصلاة والصوم وسائر ما جاءت به النبوات.

الرابع: أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل، وإنما يعلمه مجملاً، إلى غير ذلك من الوجوه.

على أن الوجوه، الأساطين من هؤلاء الفحول: معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان هكذا ؛ فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه.

---

(١) رواه أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام وأهله» ٤/ ٢٩٤(١١٤٢) والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ وقال: لعل هذا متواتر عن الإمام.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمقصود من هذا كله؛ أن جميع المنحرفين عن الكتاب والسنة وقعوا في الأمر المريج، فالذين أنكروا الصفات اختلفوا واضطربوا؛ على أي شيء تحال هذه الصفات؟ وعلى أي عقل؟ وما يُثبت وماذا يُنفى؟

وهكذا الذين أنكروا المعاد والجنة والنار اضطربوا، من الفلاسفة وغيرهم، فاختلفوا، فهذا يكذّب هذا، وهذا يزيّف هذا، وهذا يثبت ما نفاه هذا، وهذا ينفي ما أثبته هذا، فصاروا في أمر مريج.

أما أهل الحق الذين تلقوا دينهم عن كتاب الله وعن سنة رسوله ﷺ؛ فهم الذين وفقهم الله للثبات والاستقامة، حتى صاروا على كلمة واحدة وعلى طريق واحد، تلقوه عن نبيهم ﷺ وعن كتاب ربهم، فهم أهل السعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالواجب الاعتصام بهذا الحبل، وهو دين الله، وهو ما جاء به الكتاب والسنة. فالخروج عن هذا ضلال وشقاء.

ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأنه بيّن للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر.

والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا لا شك أن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، والهدى: هو العلم النافع والأخبار الصادقة، ودين الحق: هو الأعمال الصالحة والشرائع المستقيمة، فبعثه الله بالعلم والعمل، بعثه الله

بالإخبار عما مضى من الأمور العظيمة، وبعثه الله بأعمال شرعية وشرائع عادلة يسير عليها العباد، كما بعثه بالإيمان بالمبدأ والمعاد، الإيمان بالله واليوم الآخر، فالإيمان بالله، الإيمان بالمبدأ، أن الله هو رب الجميع وإله الجميع والمعبود بالحق سبحانه وتعالى، وما شرع لهم من العبادات.

واليوم الآخر الإيمان بالمعاد، الآخرة، وما يكون فيها من أهوال في يوم القيامة، وما ينتهي بعد ذلك إليه من أمر الجنة والنار.

فجمع بين هذا وهذا، بين المبدأ والمعاد، الإيمان بالله وما شرعه لهم من الدين، وما أخبر به عن الماضين، واليوم الآخر وما يكون فيه من الأمور العظيمة التي تنتهي بعد ذلك بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هذا كله جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

فعلى أتباعه الإيمان بهذا وهذا، الإيمان بالمبدأ والأخبار الصادقة التي أخبر بها، وهو الهدى، والإيمان باليوم الآخر وما بعده من الأهوال وما كان هناك، إلى انتهاء أمر العالم بدخول الجنة أو النار، وبهذا ينتهي أمر العالم.

كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]،

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني في السهولة عليه جل وعلا، فإنه سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] كل شيء سهل عليه يسيرٌ عليه جل وعلا.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ هذا المبدأ ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾ [لقمان: ٢٨] هذه النهاية.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٨]، وقد بين

الله على لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده، وكشف به مراده.

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارة وبياناً، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: هذا معلوم عند جميع أهل العلم والإيمان، أن الرسول أعلم الناس بهذا وأنصح الناس، أما قوله: أعلم الناس: لأنه يتلقاه عن الرب عز وجل بواسطة الملك الصادق، والناس لا يعلمون ذلك، وليس عندهم خبر إلا بما وجدوه في الصحف التي فيها الصدق والكذب، أما هذا؛ فهو يتلقى بالأخبار عن أصدق الخلق عن الرب عز وجل.

وأما كونه أنصح الناس؛ فلأن الله جعله رحمةً للعالمين، وجبله على خير الأخلاق وعلى خير الصفات، وجبله على الصدق وأمره به، فكان أصدق الناس وأنصح الناس عليه الصلاة والسلام.

وأفصحهم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: كذلك جعله الله أفصح الناس عبارةً وبياناً، فهو قادر على بيان ما بعثه الله به، يبينه بأوضح عبارة وأبين عبارة، حتى لا تخفى على المستمع.

فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة.

ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل، إذا كمل علمه وقدرته وإرادته؛ كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان.

والرسول هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في قدرته على البلاغ المبين، ومع وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة؛ يجب وجود المراد، فعلم قطعاً أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر؛ حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك أكمل العلوم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا كله رد على المتكلمين والفلاسفة وغيرهم، ممن ساءت ظنونهم، وزعموا أنه لم يبلّغ، إنما خَيّل للناس.

فرسول الله ﷺ أكمل الناس علماً، وأكملهم بياناً، وأكملهم نصحاً، متى توافرت هذه الأمور؛ لا يتأخر البيان، ولهذا بلّغ البلاغ المبين عليه الصلاة والسلام، وجعله الله رحمة للعالمين، وهذا كله مما بيّنه للناس وهداهم إليه وأرشدهم إليه؛ بما أعطاه الله من علم وقدرة وبيان.

فمن زعم خلاف ذلك فقد ساءت ظنونه بالله، وساءت ظنونه برسوله عليه الصلاة والسلام، فيكون من أكفر الناس وأضلهم.

فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه، أو أكمل بيانا منه، أو أحرص على هدى الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين.

والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة.

وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

فأهل التخييل: هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم، من متكلم ومتصوف ومتفقه، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر؛ إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بيّن به

الحق، ولا هدى به الخلق، ولا أوضح به الحقائق.

ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من علمها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين، وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية، باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.

ومنهم من يقول: بل الرسول علمها لكن لم يبينها، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها، لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل، قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد، فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

قال سماحة الشيخ ﷺ: وهؤلاء هم أكفر الناس وأضلهم وأبعدهم عن الهدى، حيث نسبوا الرسل إلى التخييل، وأنهم أتوا بغير الحقيقة، وأنهم زعموا للناس أشياء لا حقيقة لها، وهذا من أكفر الكفر وأضل الضلال، نسأل الله العافية، وهذا قول الفلاسفة الملحدين الذين لا يعرفون رباً ولا إلهاً ولا ديناً، وهكذا من تبعهم من الملاحدة، من الرافضة والصوفية وغيرهم، نسأل الله العافية.

وأما الأعمال، فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى

ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة، والإسماعيلية ونحوهم.

وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني، ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم، وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غير جهته، وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة، ومن دخل معهم في شيء من ذلك.

والذين قصدنا الرد في هذه الفتيا عليهم؛ هم هؤلاء، إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهوراً، بخلاف هؤلاء، فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة، وهم ـ في الحقيقة ـ لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا، لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص ـ نصوص المعاد ـ نظير ما ادعوه في نصوص الصفات، فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا فساد الشبه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهم: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد، ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئاً منها أحد من العرب.

فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد ليس بأعظم من إنكار الصفات، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما

أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا كله واضح في الرد على الجهمية والمعتزلة، فإن نصوص الصفات أوضح شيء وأظهر شيء، فقد جاء بها الكتاب العزيز الذي هو أصدق الكلام، وجاءت به السنة الصحيحة، فعُلم بذلك أن صفات الرب وأسماءه أمر ثابت وحق، حتى الجاهلية في جاهليتها لم تنكر ذلك، فإثبات الصفات والأسماء أعظم وأكبر في الأدلة من إثبات المعاد والجنة والنار وغير ذلك، فإذا ساغ لهؤلاء المجرمين أن يتأولوها؛ فتحوا باباً للملاحدة في تأويل آيات المعاد وما يتعلق بنصوص المعاد من الكتاب والسنة.

ولهذا أجمع أهل السنة والجماعة على الرد على هؤلاء وهؤلاء، وأن شبهات الفلاسفة باطلة، وهكذا شبهات أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم؛ من أبطل الباطل وأضلّ الضلال.

والنصوص واضحة بيّنة ثابتة في بيان ما أخبر الله به من معاد الأبدان، وما يكون نهاية أهل الجنة وأهل النار، وما أعده الله لهؤلاء وهؤلاء، كل ذلك من أوضح النصوص ومن أبين النصوص، وهي أمور قطعية قطع بها المؤمنون والمسلمون، وكذلك الصفات سواء بسواء من باب أولى.

وأيضاً، فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما بدّل وحرّف؛ لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجباً منهم وتصديقاً لها، ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة أهل الإثبات، مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عابهم بقولهم:

﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: إنه استراح لما خلق السموات والأرض.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا كله يدل على قلة أدب اليهود وعدم إيمانهم وقلة بصائرهم وعدم الحياء، ولهذا قالوا هذه المقالات الشنيعة ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ «استراح لما فرغ من السماوات والأرض» وجعلوا يوم السبت هو يوم الاستراحة.

وكل هذا من أكاذيبهم وأباطيلهم الشنيعة، التي قالوها من غير حياء ومن غير أدب وعن غير مبالاة، لفظاعة كفرهم وضلالهم، نسأل الله العافية.

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن، فإذا جاز أن تتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان؛ فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل، فالأول أولى بالبطلان.

وأما الصنف الثالث وهم «أهل التجهيل» فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف، يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله؛ مع أن الرسول تكلم بها ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه،

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فإنه وقف أكثر السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وهو وقف صحيح، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره؛ وبين التأويل الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

فإن لفظ التأويل يراد به ثلاث معان:

فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون: تجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد مع قولهم: إن لها تأويلاً بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم.

والمعنى الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام ـ سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه ـ وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم، وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] كما نقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم، وكلا القولين حق باعتبار، كما قد بسطناه في موضع آخر، ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا، وكلاهما حق.

والمعنى الثالث أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها - وإن وافقت ظاهره - فتأويل ما أخبر الله به في الجنة - من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك - هو الحقائق الموجودة أنفسها؛ لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن، كما قال تعالى عن يوسف أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠].

قال سماحة الشيخ ﵀: يعني هذا ما آلت إليه حقيقتها أن سجد له أبواه وسجد له إخوته ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] جاء تأويلها، يعني حقيقتها، بعد ما تولى الأمر ودخلوا عليه وسجدوا له، هذا تأويلها، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] تأويله ما يشاهده الناس يوم القيامة من الجزاء والحساب ونصب الميزان ونشر الصحف، ثم دخول الجنة ودخول النار، هذا تأويل ما أخبر الله به.

فالتأويل ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما ذكره المؤلف من اصطلاح المتكلمين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى المرجوح لدليل يقترن بذلك.

وهذا أحدثه أهل الكلام، وليس هو التأويل المراد في شرع الله وفي كلام رسوله عليه الصلاة والسلام، فهؤلاء أحدثوه، وجروا به الآيات والأحاديث إلى أهوائهم وإلى مراداتهم.

والقسم الثاني: تفسير الكلام بما دل عليه السياق ودل عليه المعنى ودلت عليه الأدلة، سواء كان وافق ظاهره أو لم يوافق ظاهره من بعض

الوجوه، لكنه دلت عليه الأدلة، فهذا هو تفسير الكلام، مثل ما قال ابن جرير: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وهو تفسير الكلام بما يتبين من سياق الكلام أو من مجموع الأدلة.

والتأويل الثالث: الحقائق التي أخبر الله عنها، يعني ما يؤول إليه الكلام من الحقائق، وتأويل الرؤيا ما يقع منها في الخارج ،وتأويل ما أخبر الله به يوم القيامة؛ ما يقع يوم القيامة من الحساب والجزاء، وهكذا الجنة والنار وغير ذلك.

سؤال/ السجود للغير (فسجد له أبواه) مشروع أم غير مشروع؟

أجاب سماحته: كان مشروعاً في زمانهم، من باب الإكرام والتحية، أما في شريعة محمد ﷺ فقد نسخ هذا.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله.

وتأويل الصفات؛ هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف ـ كمالك وغيره ـ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فالاستواء معلوم ـ يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى ـ وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء؛ فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهكذا بقية الصفات، الكيفية من التأويل الذي يعلمه الله وحده سبحانه وتعالى، أما تفسير الآيات التي فيها الصفات؛

فمعلوم للراسخين في العلم، معلوم لأهل الإيمان بلغة العرب، فالسميع معلوم تأويله، وأنه سماع الأصوات، والبصر رؤية الأشياء، والعلم خبرته بالأشياء والإحاطة بها، والقدرة ضد العجز، هذه معلومة، وهكذا اليد والوجه والقدم، كل هذه صفات معلومة، لكن لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى.

وصفات الله وأسماؤه معلومة المعاني، لكن لا يعلم كيفيتها إلا هو جل وعلا، ولهذا قال مالك وربيعة وأم سلمة والسلف بعدهم: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان بذلك واجب، والسؤال عنه بدعة(١).

وهكذا يقال: السمع معلوم، والبصر معلوم، واليد معلومة، والوجه معلوم، والإيمان بها واجب، والكيف مجهول.

وهكذا بقية الصفات، الضحك والرضا والغضب، والغضب معروف ضد الرضا، والرضا معروف أنه ضد الغضب، ولكن لا يعلم كيفية رضاه سبحانه وتعالى وكيفية غضبه إلا هو جل وعلا، لكن معروف ما ينتج عن الغضب من العقوبات والنَقَمات، وينتج عن الرضا من الرحمة والإحسان والإكرام إلى غير ذلك.

السؤال عنه بدعة، عن الكيفية، لأن السلف ما سألوا الرسول ﷺ عن الكيفية، لأنه ما يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، والصحابة سمعوا وأجابوا وآمنوا وصدّقوا ولم يسألوا عن الكيفية، لأن الكيفية أمرها متصل بالله، لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه اللالكائي ١/ ١٤١(٦٦٣-٦٦٤-٦٦٥) سياق ما روي في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

سؤال/ في الحديث: «إن الله خلق آدم على صورته»[1].

أجاب سماحته: صورة تليق بالله جل وعلا، ما هي من كل وجه، يعني أن آدم سميع بصير يتكلم وله وجه، والله سميع بصير يتكلم وله وجه، لكن ليس الوجه كالوجه وليست الصورة كالصورة وليس العلم كالعلم وليس الكلام كالكلام وهكذا، فصورة المخلوق تليق به وصورة الله تليق به سبحانه وتعالى، مثل ما قال في حديث يوم القيامة: «إذا جاءهم سبحانه على صورته سجدوا له»[2].

وقد روى عن ابن عباس ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه:-

تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادعى علمه فهو كاذب.

وهذا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٦١٢) كتاب البر والصلة/ باب النهي عن ضرب الوجه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٥١-١٥٤ وقال: رويناه عن الطبراني، وهو في المعجم الكبير (٢٥/ ٢٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٣٢٩٢) كتاب التفسير/ باب «ومن سورة الواقعة» من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨] فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن، عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات؛ لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً[(١)].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهكذا ينبغي، ولولا أنه يفهم وله معان تُفهم؛ لما قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً.

فمعانيها التي خوطبنا بها وأمرنا بتدبرها والعمل بها معلومة، كما نعرف معنى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال: ٦٠] وما أشبه ذلك.

فأشياء (مثل ما قال ابن عباس) تعرف من لغة العرب، وأشياء يعرفها الراسخون في العلم، وأشياء لا عذر لأحد بجهالتها، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك، والنوع الرابع هو الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، عالـم الغيب وكيفية الصفات.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٨٠ وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح متصل.

وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ﷺ من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آية وأسأله عنها(١).

وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفى كتاب الله بيانها. وقال مسروق: ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه.

وهذا باب واسع قد بسط في موضعه.

والمقصود هنا: التنبيه على أصول المقالات الفاسدة التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وأن من جعل الرسول غيرَ عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل؛ جعله غير عالم بالسمعيات، ولم يجعل القرآن هدى ولا بياناً للناس.

قال سماحة الشيخ ﷺ: مقصوده رحمه الله من هذا بيان أصول المقالات الفاسدة التي قالها المتكلمون والزنادقة والفلاسفة، مثل ما تقدم في قول أهل التخييل والتجهيل والتأويل، وغيرهم ممن تكلم في أصول الدين بغير علم.

أراد المؤلف أن يبين فساد مقالاتهم، وأن الذي عليه أهل الحق هو الحق والصواب من الإيمان بأن الرسول ﷺ بلّغ عن الله رسالاته، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأنه أعلم الناس بما جاء عن ربه جل وعلا، وأخبر عن ربه بما هو يعلم معناه، وبلّغه الأمة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ١/ ٦٥، ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموماً علمه به، وابن كثير في مقدمة تفسيره ١/ ٥ الرجوع إلى أقوال التابعين، وعزاه لابن إسحاق.

فالواجب على الأمة التصديق بذلك والإيمان بذلك والانقياد لذلك، واطّراح هذه المقالات الفاسدة التي قالها الزنادقة، وقالها المتكلمون الضالون وأهل التصوف، فيما أخطئوا فيه وضلوا به عن السبيل، وأن لا يُلتفت إلى مقالاتهم الضالة، فالله جل وعلا قال: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤]، فما قاله عن الله وثبت عنه فهو الحق، وإن جهله هؤلاء الضالون ولم يعرفوه، وكذلك ما أخبر به من أسمائه وصفاته حق لائقة بالله سبحانه وتعالى، وهي صفات كمال تليق به جل وعلا، لا يشابه فيها خلقه سبحانه وتعالى.

وهكذا ما أخبر به عن الجنة والنار من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وما في الجنة من أنواع الخيرات، وما في النار من أنواع العذاب؛ كله حق، أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام وأخبر به القرآن، وجب الأخذ بذلك والتصديق بذلك، واطراح المقالات الضالة المخالفة لذلك.

ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول وأمته في باب معرفة الله عز وجل لا علوما عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول ﷺ وإلى السلف من الجهل، كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة، وسائر أصناف الملاحدة.

ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم - إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع - ما يعلم به مذهبهم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني أن أهل السنة والجماعة هم أولى الناس بالسمعيات، وهم أولى الناس بالعقليات الصحيحة، وأولئك المنحرفون هم أبعد الناس عن السمع الصحيح والعقل الصحيح، فقد باءوا بالخيبة

والخسارة، لا في السماع ولا في العقل.

أما أهل السنة والجماعة فقد وفقوا لقبول الحق الذي جاء به السمع، وقد وفقوا أيضاً لما دل عليه العقل الصحيح والفطرة السليمة الموافقة لشرع الله عز وجل.

فأولئك الضالون لا أصابوا العقل ولا أصابوا السمع، وأما هؤلاء المؤمنون السالكون مسلك النبي ﷺ؛ فقد وفقوا لما حصل لهم من الإيمان بالله ورسوله وما صح عن الله وعن رسوله، وقد أصابوا الفطرة السليمة والعقل الصحيح، فإن القاعدة الشرعية أن العقول الصحيحة والفطر السليمة لا تخالف النقول الصحيحة، بل هما متطابقان.

روى أبو بكر البيهقي في «الأسماء والصفات» بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته(١).

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا الأوزاعي، أبو عمرو الأوزاعي، عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي أحد الأئمة الكبار، وهو عالم الشام وإليه المرجع في زمانه، كان يقول رحمه الله ـ: «كنا نقول والتابعون متوافرون ـ لأنه أدرك جمعاً كبيراً من التابعين ـ أن الله جل وعلا فوق عرشه» يعني نؤمن بذلك ونقر بأنه فوق العرش، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، ومع هذا: نؤمن بما ثبت في السنة من صفاته سبحانه، كما نؤمن بما جاء به القرآن من صفاته جل وعلا. فما جاء في القرآن من علمه وحكمته ورحمته وعلوه

---

(١) البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٥) وابن ماجة (١٨١) المقدمة (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية، وقال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٩-١٨٠ وهذا إسناد صحيح. وفي مختصر العلو ١٢١.

واستوائه على عرشه؛ كله حق، وهكذا ما جاءت به السنة، الأحاديث الصحيحة، لأن الوحي الثاني كالوحي الأول، فالسنة هي الوحي الثاني، والوحي الأول هو القرآن وهو الأصل، فما جاء في السنة الصحيحة فهو من جنس ما جاء في القرآن، يجب الإيمان به وإثباته وإقراره واعتقاده والدعوة إليه والذب عنه.

وقد حكى الأوزاعي - وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابع التابعين، الذين هم «مالك» إمام أهل الحجاز، و«الأوزاعي» إمام أهل الشام، و«الليث» إمام أهل مصر، و«الثوري» إمام أهل العراق.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني في زمانهم.

حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش، وبصفاته السمعية.

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك.

وروى أبو بكر الخلال في «كتاب السنة» عن الأوزاعي قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمرّوها كما جاءت. وروى أيضاً عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، والأوزاعي: عن الأخبار التي جاءت في الصفات؛ فقالوا: أمرّوها كما جاءت. وفى رواية: فقالوا أمرّوها كما جاءت بلا كيف.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهؤلاء هم أئمة الدنيا في زمانهم: مالك في المدينة، والثوري في العراق في الكوفة، والأوزاعي في الشام، والليث بن سعد في مصر، وهم أئمة زمانهم وعلماء زمانهم في الثقة والرواية والفقه، رحمهم الله، قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

يعني آمنوا بها كما جاءت عن الله وعن رسوله بغير كيف، لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وتعالى، ولهذا قال مالك لما سئل عن الاستواء ـ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وهكذا جاء عن ربيعة شيخه، وأم سلمة أم المؤمنين، وهكذا قال الليث ابن سعد المصري، وسفيان الثوري رحمه الله، والأوزاعي، وإسحاق بن راهوية بعده، وأحمد بن حنبل، وسفيان بن عيينة، وغيرهم من أئمة الإسلام، كلهم على هذا الطريق، يجب أن تمُر آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من دون تأويل ولا إلحاد، بل تمر كما جاءت، مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله عز وجل تليق به سبحانه لا يشابه فيها خلقه جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقولهم ـ رضي الله عنهم ـ «أمرّوها كما جاءت» رد على المعطلة، وقولهم: «بلا كيف» رد على الممثلة. والزهري ومكحول: هما أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، ومن طبقتهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة وأمثالهما.

وروى أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرف بن عبد الله، قال: سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول: قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد من خلق الله تعالى تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو

مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً[1].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: مقصود عمر رضي الله عنه أن الواجب السير على منهج السلف الصالح الذين تابعوا نبيهم ﷺ واستقاموا على طريقه، وهم الصحابة، فالواجب الأخذ بما قالوا، والسير على منهجهم في جميع الشئون، في إثبات الصفات وتنزيه الله عن مشابهة خلقه، وباتباع الشريعة وتعظيم أمر الله ونهيه، وفي غير هذا من شؤون الدين، لأنهم كانوا على الهدى المستقيم، فمن سار على نهجهم واستقام على طريقهم فهو المهتد، ومن حاد عن سبيلهم واتبع غير سبيلهم - من أصحاب البدع والأهواء -: ولاّه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً، نسأل الله العافية.

وروى الخلال بإسناد - كلهم أئمة ثقات - عن سفيان بن عيينة. قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق[2].

وهذا الكلام مروي عن «مالك بن أنس» تلميذ ربيعة بن أبي عبدالرحمن من غير وجه.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا هو الواجب على أهل العلم والإيمان، أن الله جل وعلا بعث نبيه ﷺ بالرسالة والبلاغ، فالواجب على الأمة التصديق والقبول، فما فسّره لهم رسولهم فسّروه، وما كفّ عنه كفّوا عنه،

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ١/ ٣٥٧ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٢٤ .

(٢) رواه الذهبي في تذكرة الحفاظ عنه ١/ ١٥٨.

وما جهلوه قالوا: الله أعلم، فلا يجوز لهم التعنت والتكلف في شيء ما جاءت به السنة، ولا بلّغه إياهم الرسول ﷺ، ولهذا قال ربيعة بن أبي عبدالرحمن المدني، التابعي الجليل، شيخ مالك ﵀: الاستواء غير مجهول: يعني معروف المعنى، أنه العلو فوق العرش.

والكيف غير معقول: لا نعرف كيف استوى، علينا الصمت والكف.

ومن الله الرسالة: الله أرسل الرسول.

وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق: هذا واجبنا، أن نصدق ما جاء به الرسول وأن نتقاد له ونتبعه، فإذا عرفنا معناه فالحمد لله، وإن لم نعرف وكلناه إلى الله، وقلنا: الله أعلم.

وهكذا قول مالك كما يأتي: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب.

هكذا يروى عن أم سلمة أم المؤمنين ﵂ هذا المعنى مثل ما قال ربيعة ومالك، وهكذا القول في جميع الصفات: الرحمة والقدرة والعلم والسمع والبصر والضحك والرضى وغير ذلك، كلها معلومة، أما الكيف فغير معقول، لا نكيّف صفات ربنا، ليس عندنا علم من ذلك، ولكن نؤمن بها ونقرها كما جاءت، وأنها حق، وأنها ثابتة لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به جل وعلا، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، إلى غير ذلك.

هذا هو الواجب عند أهل السنة والجماعة، أما ما سلكه الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع من التأويل والتعطيل؛ فهو باطل عند أهل السنة والجماعة.

(منها) ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني، وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى؛ قال: كنا عند مالك بن أنس؛ فجاء رجل فقال يا أبا عبدالله: ﴿الرَّحْمَٰنُ

عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً؛ ثم أمر به أن يخرج[1].

فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب؛ موافق لقول الباقين: أمرّوها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه - على ما يليق بالله - لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمرّوها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم.

وأيضاً: فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضاً: فإن من ينفي الصفات الخبرية - أو الصفات مطلقاً - لا يحتاج إلى أن يقول «بلا كيف» فمن قال: إن الله ليس على العرش؛ لا يحتاج أن يقول بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف.

وأيضاً: فقولهم: أمرّوها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني، فلو كانت دلالتها منتفية لكان

(١) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٤) ١/ ٤٤١ سياق ما روي في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ والبيهقي في الأسماء والصفات(٨٦٦) وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٢٥-٣٢٦، والذهبي في مختصر العلو ١٣١-١٣٢، وصححه وقال: هذا ثابت عن مالك. وقواه الألباني، وجود إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧.

الواجب أن يقال: أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: كل هذا واضح المعنى، وأن السلف إنما أرادوا إثبات المعنى وأنه حق، ولهذا قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، وقالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، فعُلم بذلك أنهم أرادوا أنها صفات حق، وأنها ثابتة، وأن الواجب إمرارها معنى ولفظاً، من غير تكييف ولا تمثيل.

فقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، هذا سمع حقيقة وبصر حقيقة، لكن لا نكيّفه، لا نعلم كيفيته، ولا نمثله بصفات المخلوقين، كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] هكذا قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر»(١). وقوله: «إن الله يرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها»(٢) إلى غير ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦) كتاب الجهاد/ باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، ومسلم (١٨٩٠) كتاب الإمارة/ باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة. كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (١٨١٦) كتاب الأطعمة/ باب ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فالمقصود أنها صفات يجب إثباتها كما جاءت عن الله وعن رسوله على الوجه اللائق بالله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، هذا قول أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان.

وروى الأثرم في «السنة» وأبو عبد الله ابن بطة في «الإبانة» وأبو عمرو الطلمنكي، وغيرهم بإسناد صحيح، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ـ وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب ـ وقد سئل عما جحدت به الجهمية:

أما بعد: فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خلفها، في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر، وكلَّت الألسن عن تفسير صفته، وانحصرت العقول دون معرفة قدرته، وردت عظمته العقول فلم تجد مساغاً فرجعت خاسئة وهى حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال «كيف» لمن لم يكن مرة ثم كان.

فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل؛ فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو، وكيف يُعرف قدر من لم يبدأ، ومن لا يموت ولا يبلى؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى ـ يعرفه عارف أو يحد قدره واصف؟ ـ على أنه الحق المبين لا حق أحق منه ولا شيء أبين منه، الدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغراً يجول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر؛ لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضلُ بك، وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ﴿لَيۡسَ

﴿كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

اعرف - رحمك الله - غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها؛ إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تزدجر به عن شيء من معصيته؟

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً فقد ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١]، فصار يستدل - بزعمه - على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال: لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمى عن البيّن بالخفي، فجحد ما سمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد واللهِ أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]، قد قضى أنهم لا يموتون، فهم بالنظر إليه ينضرون. إلى أن قال: وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد عرف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحداً.

وقال المسلمون: يا رسول الله! هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب»؟ قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»؟ قالوا:

لا، قال: «فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه، فتقول قط قط وينزوي بعضها إلى بعض»[٢] وقال لثابت بن قيس: «لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة»[٣] وقال فيما بلغنا: «إن الله تعالى ليضحك من أزلكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم» فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك؟ قال: «نعم» قال: لا نعدم من رب يضحك خيراً[٤]. إلى أشباه لهذا مما لا نحصيه.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فوالله ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته؛ إلا

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨١) تفسير سورة النساء/ باب (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) ومسلم (١٦) كتاب الزهد.

(٢) رواه البخاري (٤٨٥٠) تفسير سورة ق/ باب (وتقول هل من مزيد) ومسلم (٣٥-٣٧) كتاب الجنة/ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٣) رواه البخاري (٣٧٩٨) كتاب مناقب الأنصار/ باب قول الله عز وجل (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ومسلم (١٧٢، ١٧٣) كتاب الأشربة/ باب إكرام الضيف وفضل إيثاره.

(٤) رواه أحمد في المسند ٤/ ١١، ١٢ وابن ماجه في المقدمة/ باب فيما أنكرت الجهمية (١٨١).

صغر نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقى في رُوعهم، وخلق على معرفة قلوبهم.

قال سماحة الشيخ ﵀: لعلها: وخلق على معرفته قلوبهم، الرُّوع القلب، والرَّوع الوجل والخوف.

فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه ـ لا هذا ولا هذا ـ لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف.

قال سماحة الشيخ ﵀: رحمه الله، كلام ابن الماجشون هذا كلام عظيم جيد طيب.

اعلم ـ رحمك الله ـ أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهى بك، ولا تجاوز ما قد حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارثت علمه الأمة؛ فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً؛ ولا تتكلفن بما وصف لك من ذلك قدراً.

وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في حديث عن نبيك ـ من ذكر صفة ربك ـ فلا تكلفن علمه بعقلك؛ ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه، فإن تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل إنكار ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه؛ فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها.

قال سماحة الشيخ ﵀: وهذا هو الحق، الإمام عبد العزيز بن عبد الله الماجشون من أئمة العلم والهدى، من أتباع التابعين رحمهم الله، وهذا

الذي قاله هو الصواب، وهو الحق الذي درج عليه أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، وهو أن الواجب على العالم إثبات ما أثبته الله ورسوله من صفات الله وأسمائه على الوجه اللائق بالله جل وعلا، والإمساك عما لم يرد في الكتاب والسنة، فكما أنه يجب عليك إثبات ما أثبته الله ورسوله؛ فيجب عليك الكف عما لم ينطق الله به ورسوله.

فالدين ليس بالآراء والاستحسانات، ولكنه بالنقل، فما جاء عن الله ورسوله وجب السمع والطاعة له والإيمان به وإمراره كما جاء، من أسماء الله وصفاته وشرائع دينه، وما لم يأت في كتاب الله ولا في سنة رسوله فالواجب الإمساك عنه، وأن لا تقول في حق ربك إلا بعلم وبصيرة عن الله أو عن رسوله عليه الصلاة والسلام.

ولما وقعت الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل الكلام في هذا الباب بالخوض والآراء والاستحسانات؛ وقعوا في الباطل وخرجوا عن الكتاب والسنة، وكفّرهم أهل السنة والجماعة وبدّعوهم وضلّلوهم وأنكروا عليهم وحاربوهم، بسبب أنهم تكلّفوا بما لم ينزل الله به سلطاناً، وقالوا على الله بغير علم وعلى رسوله بغير علم، فضلوا وأضلوا.

فالواجب الاتباع وعدم الخروج عما جاءت به الأدلة الشرعية.

فقد - والله - عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن، وما ذكر عن النبي أنه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب تعالى من نفسه.

والراسخون في العلم - الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون

لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ـ لا ينكرون صفة ما سمى منها جحداً، ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً، لأن الحق ترك ما ترك وتسمية ما سمى ومن يتبع غير سبيل المؤمنين ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وهب الله لنا ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين.

وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام، فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية ـ موافقاً لغيره من الأئمة ـ وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا، كما تقوله الجهمية: إنه يلزم أن يكون جسماً أو عرضاً؛ فيكون محدثاً.

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة، الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيع «الحكم بن عبد الله البلخي» قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال: لا تكفرن أحداً بذنب، ولا تنف أحداً به من الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا توالي أحداً دون أحد، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله عز وجل.

قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير.

قال أبو مطيع الحكم بن عبد الله: قلت: أخبرني عن أفضل الفقه. قال: تعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأئمة، وذكر مسائل الإيمان، ثم ذكر مسائل القدر والرد على القدرية بكلام

حسن ليس هذا موضعه.

ثم قال: قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيتبعه على ذلك أناس فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك؟

قال: لا. قلت: ولم، وقد أمر الله ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو فريضة واجبة؟

قال: هو كذلك؛ لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء واستحلال الحرام. قال: وذكر الكلام في قتل الخوارج والبغاة.

إلى أن قال: قال أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؛ فقد كفر، لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سموات.

قلت: فإن قال إنه على العرش استوى، ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أن يكون في السماء، لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل - وفي لفظ - سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض. قال: قد كفر، قال: لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سموات، قال: فإنه يقول على العرش استوى، ولكن لا يدري العرش في الأرض أو في السماء، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا واضح في مذهبه رحمه الله، وأنه على طريق أهل السنة والجماعة بهذا الباب، لأن إنكاره وجود العرش في السماء إنكار لوجود الله في السماء، والله يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧]، فمن أنكر أن الله في السماء، وأن الله فوق

العرش فقد كفر، كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله، وهذا إجماع أهل السنة والجماعة.

فالواجب على أهل الإسلام الإيمان بأن الله في السماء فوق العرش، وعلمه في كل مكان سبحانه وتعالى، فلاتخفى عليه خافية.

وكذلك قوله إن الفقه الأكبر هو علوم العقائد، لأن الفروع تابعة للعقيدة، فعلم البيع والشراء والإجارة والنكاح والطلاق، فهذه الأمور الفروع تابعة للعقيدة والإيمان، فالفقه الأكبر هو العلوم المتعلقة بتوحيد الله والإيمان به سبحانه وتعالى، والإيمان بما أخبر به عن نفسه من صفاته وأسمائه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

فالواجب على كل مؤمن أن يعرف هذه الأمور وأن يعتقدها، كما قال السلف الصالح، وأن يسير عليها مؤمناً بأن الله في السماء وفوق العرش وعلمه في كل مكان، وأنه سبحانه ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له ولا كفو له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، وأن الواجب إثبات أسمائه وصفاته على الوجه اللائق به، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ولهذا أنكر أبو حنيفة على هؤلاء الذين يخرجون على السلطان، ويقول: إنهم يفسدون أكثر مما يصلحون، بل الواجب عليهم إنكار المنكر والدعوة إلى الخير لكن بغير السلاح، فإذا كان مقروناً بالسلاح لقتل المسلمين وقتل ولاة الأمور بزعمهم أنهم ينكرون المنكر؛

هذا عمل الخوارج وعمل المعتزلة الذي أفسدوا فيه أكثر مما يصلحون، وفعلوا خلاف ما أمر النبي به ﷺ، لأن الرسول قال «فمن رأى من أميره شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من

طاعة»[1] لما قال: «سيلي عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون» قالوا: أفلا نقاتلهم؟

قال: «لا، أدوا إليهم حقهم، واسألوا الله الحق الذي لكم»[2] «إلا أن تروا كفراً بواحاً»[3] وفي اللفظ الآخر: «ما أقاموا فيكم الصلاة»[4].

ولكن هؤلاء أيضاً الذين يقاتَلون لا يجوز الخروج عليهم إلا على بصيرة وعلى علم وعلى قدرة أنهم يزيلون المنكر، أما هؤلاء الجهلة الذين يريدون الخروج بزعمهم، فيقتلون الناس ويؤذون الناس ويقتلون المسلمين على غير بصيرة، هؤلاء ليس لهم الخروج، إنما الخروج على من قدر على ذلك ورأى كفراً بواحاً، على قوم ما أقاموا الصلاة أو أظهروا كفراً بواحاً. غير ذلك، لكن بشرط أن يكون ذلك القيام يحصل به المقصود، ولا يحصل به ما هو أنكر منه.

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنه كفر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض، فكيف يكون

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٤) كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ومسلم (١٨٤٩) كتاب الإمارة/ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم (١٨٥٣) كتاب الإمارة/ باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٧٠٥٦) كتاب الفتن/ باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» ومسلم (١٧٠٩) كتاب الإمارة/ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٤) رواه مسلم (١٨٥٥) كتاب الإمارة/ باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع من حديث عوف بن مالك ﷺ.

الجاحد النافي الذي يقول ليس في السماء، أو ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج على كفره بقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال: وعرشه فوق سبع سموات.

وبيّن بهذا أن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] يبين أن الله فوق السماوات فوق العرش، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله بنفسه فوق العرش.

ثم أنه أردف ذلك بتكفير من قال إنه على العرش استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال: لأنه أنكر أنه في السماء، لأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل.

وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو، وعلى أنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك، فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.

وروى هذا اللفظ بإسناد عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في «كتاب الفاروق» وروى أيضاً ابن أبي حاتم: أن هشام بن عبيدالله الرازي ـ صاحب محمد بن الحسن ـ قاضي الري[1] حبس رجلاً في التجهم فتاب، فجيء به إلى هشام ليطلقه فقال: الحمد لله على التوبة، فامتحنه هشام فقال: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: أشهد

(١) نسخة: القاضي الذي حبس .. الخ .

أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه. فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب.

قال سماحة الشيخ ﷺ: معنى بائن: يعني منفصل من خلقه، يعني فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى.

وروى أيضا عن «يحيى بن معاذ الرازي» أنه قال: إن الله على العرش بائن من الخلق، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضِلّيل وهالك مرتاب، يمزج الله بخلقه، ويخلط منه الذات بالأقذار والأنتان.

وروى أيضاً عن «ابن المديني» لما سئل ما قول أهل الجماعة قال: يؤمنون بالرؤية والكلام، وأن الله فوق السماوات على العرش استوى، فسئل عن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، فقال: اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧].

قال سماحة الشيخ ﷺ: يعني أنه معهم بعلمه واطلاعه عليهم وهو فوق العرش سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية جل وعلا، ولهذا بدأ الآية بالعلم وختمها بالعلم.

وروى أيضاً عن «أبي عيسى الترمذي» قال: هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان.

وروى عن «أبي زرعة الرازي» أنه لما سئل عن تفسير قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، فقال: تفسيره كما يُقرأ، هو على العرش، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله.

وروى «أبو القاسم اللالكائي» الحافظ الطبري، صاحب أبي حامد الإسفرائيني، في كتابه المشهور في «أصول السنة» بإسناده عن «محمد بن الحسن» صاحب أبي حنيفة، قال: اتفق الفقهاء كلهم - من المشرق إلى المغرب - على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً منها فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة، لأنه قد وصفه بصفة لا شيء.

ومحمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى هذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالباً أو دائماً وقوله: من غير تفسير، أراد به تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا الذي قاله محمد بن الحسن هو ما عليه أهل السنة والجماعة، وهو إجماع أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان، وهو إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل، بل يمرونها كما جاءت مع الإيمان بها واعتقاد أنها حق، ولا تفسر بتفسير الجهمية، وهو التأويل لها وسلبها ونفيها أوتكييفها.

كل هذا باطل، بل تمر كما جاءت، مع الإيمان بأنها حق وأنها صفات لله لائقة به، وأنها صفات كمال ليس فيها نقص وليس فيها تشبيه لله بخلقه، فيقرأون ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ

شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة»(١) «إن الله يرضى عن العبد»(٢) إلى غير هذا، فيمرونها كما جاءت، صفة الرحمة، صفة الغضب، صفة الرضى، اليد، الوجه، إلى غير هذا، ويعلمون أنها حق، وأنها صفات لائقة بالله ثابتة لله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، كما يقول جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

هكذا أهل السنة والجماعة يمرونها مع الإيمان بها وأنها حق، أما تأويل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ هذا كله لا يصلح، كله باطل.

وروى البيهقي وغيره بإسناد صحيح عن «أبي عبيد القاسم بن سلاّم» قال: هذه الأحاديث التي يقول فيها: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره».

سؤال/ في بعض الروايات: «وقرب خيره».

أجاب سماحته: الرواية المعروفة «غِيَرِه» يعني تغييره للأمور، ومعنى قرب خيره صحيح، لكن الرواية «غيره» يعني تغييره للأمور من شدة إلى رخاء ومن رخاء إلى شدة، ومن صحة إلى مرض ومن مرض إلى صحة، «غِيَرِه» بالغين.

---

(١) متفق عليه وقد تقدم.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن (١٨١٦) كتاب الأطعمة/ باب ما جاء في الحمد على الطعام إذا فرغ منه، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

«وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك فيها قدمه» و«الكرسي موضع القدمين» وهذه الأحاديث في «الرؤية» هي عندنا حق، حملها الثقات بعضهم عن بعض، غير أنا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها، وما أدركنا أحداً يفسرها.

«أبو عبيد» أحد الأئمة الأربعة: الذين هم الشافعي وأحمد وإسحق وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، وقد أخبر أنه ما أدرك أحداً من العلماء يفسرها، أي تفسير الجهمية.

وروى اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن «عبد الله بن المبارك» أن رجلاً قال له: يا أبا عبد الرحمن: إني أكره الصفة - عنى صفة الرب - فقال له عبد الله بن المبارك: وأنا أشد الناس كراهية لذلك، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه، ونحو هذا.

أراد ابن المبارك أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا هو الحق، فإن الصفات توقيفية، أسماء الرب وصفاته توقيفية، ليس لأحد أن يقترح أو يخترع شيئاً لم تأت به النصوص من صفات الله، ولكن يسمى بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله عليه الصلاة والسلام، ويوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، وليس للإنسان أن يخترع شيئاً من كيسه، بل يقف حيث وقفت النصوص ويمرها كما جاءت، من غير تأويل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه لله بخلقه، بل يمرها كما جاءت مع الإيمان القاطع أنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] مع الإيمان بأنه الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته جل وعلا، وأنه لا أكمل منه سبحانه وتعالى في كل شيء.

وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بماذا نعرف ربنا؟

قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه ههنا في الأرض. وهكذا قال الإمام أحمد وغيره.

> **قال سماحة الشيخ** رحمه الله: ومعنى بائن، يعني منفصل من خلقه، ليس في خلقه شيء منه، وليس في ذاته شيء من خلقه، بل هو مستقل سبحانه وتعالى فوق عرشه فوق سماواته جل وعلا.

وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام، سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء.

وروى ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبعي - إمام أهل البصرة علماً وديناً، من شيوخ الإمام أحمد - أنه ذكر عنده الجهمية فقال: أشر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وهم قالوا: ليس على شيء.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة: من لم يقل إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه؛ وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة، لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة. ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام - الواسطي إمام أهل واسط، من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد - قال: كلمت بشراً

المريسي وأصحاب بشر؛ فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء.

وعن عبد الرحمن بن مهدي ـ الإمام المشهور ـ أنه قال: ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: رحمة الله عليهم، كلهم مجمعون على هذا، كل أئمة الإسلام من الصحابة وبعد، كلهم مجمعون على ضلال الجهمية وأشباههم ممن يتكلم في الصفات وينفيها ويعطلها، ولهذا أجمع أهل السنة على ضلالهم وأنهم قد قالوا قولاً إدّاً، ولهذا قال جمهورهم بأنهم كفار وضلاّل ليس لهم اجتهاد، بل قولهم باطل، وهم كفار بهذا لإنكارهم أسماء الرب وصفاته، نسأل الله العافية.

يقول ابن القيم رحمه الله في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـــ ... ـهم بل حكاه قبله الطبرانـــي

فالمقصود أن أئمة الإسلام وجمهورهم يرى كفرهم وضلالهم، وإن تسموا بالإسلام، لأنهم كذّبوا النصوص وأنكروا ما دلت عليه النصوص من أسماء الرب وصفاته، نسأل الله العافية.

سؤال/ وصف ابن خزيمة بإمام الأئمة؟

أجاب سماحته: يعني في زمانه، أحسن ما يحمل عليه المعنى في زمانه، لقوته في السنة والرد على أهل البدع رحمة الله عليه، وهو مات سنة ٣١٠هـ السنة التي مات فيها ابن جرير رحمه الله، فهم أقران.

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن عبد الرحمن بن مهدي قال: أصحاب جهم يريدون أن يقولوا: إن الله لم

يكلم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء، وإن الله ليس على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى أن الجهمية في نفيهم الصفات يحاولون بذلك نفي وجود الله بالكلية وإنكار وجوده بالكلية، وهذا غاية في الإلحاد والضلال والكفر، فإنه إذا قيل: إنه ليس بعليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير ولا ولا، معناه النفي المحض ـ نعوذ بالله ـ ولهذا حكم عليهم جمهور أهل السنة والجماعة بالكفر والردة، وأن الواجب استتابتهم، فإن تابوا وإلا وجب قتلهم لإلحادهم وإنكارهم ما جاءت به الكتب السماوية وصرّحت به السنة، ولهذا ضحى خالد بن عبد الله القسري بالجعد بن درهم يوم العيد، يوم عيد الأضحى، فقال: أيها الناس: ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، ثم أمر بعدما نزل، أمر بقتله أمام الناس، فجزاه الله خيراً على هذا العمل الطيب، ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله:

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان[1]

وعن الأصمعي قال: قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين، فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود، فقال الأصمعي: كفرت بهذه المقالة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: خبيثة زوجة خبيث، أخذت من زوجها الخبث، قبحها الله.

---

(١) قصة قتل الجعد رواها الخلال في السنة ٥/ ٨٨ (١٦٩٠) وابن بطة في الإبانة ٢/ ١٢٠ (٣٨٦) باب ما روي في جهم وشيعته الضلّال، والذهبي في مختصر العلو ص١٣٣(١١٥) وقال الحافظ في الفتح ١٣/ ٤٧٩: أوردها البخاري في خلق أفعال العباد.

وعن عاصم بن علي بن عاصم - شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما - قال: ناظرت جهمياً؛ فتبين من كلامه أن لا يؤمن أن في السماء رباً.

وروى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني قال: أخبرنا سريج بن النعمان قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا قول أهل السنة والجماعة، أن الله فوق العرش فوق جميع خلقه، وعلمه في كل مكان، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني بعلمه واطلاعه وهو فوق العرش سبحانه وتعالى، لا يخفى عليه خافية جل وعلا.

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه الله في السماء وجمع عليه قلوب عباده.

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات»(١) وهذا مثل قول الشافعي.

وقصة أبي يوسف - صاحب أبي حنيفة - مشهورة في استتابة بشر المريسي.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يشدد ويخفف، نسبة إلى قرية في مصر يقال لها مِرّيس، وبعضهم يخففها: مَرِيسة، فمن شدد القرية شدد النسبة، ومن خفف القرية خفف النسبة.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٠) كتاب التوحيد/ باب (وكان عرشه على الماء).

حتى هرب منه لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه[1] قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره.

وقال أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين ـ الإمام المشهور من أئمة المالكية ـ في كتابه الذي صنفه في «أصول السنة» قال فيه:

(باب الإيمان بالعرش)

قال: «ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [الحديد: ٤].

فسبحان من بَعُد وقَرُب بعلمه فسمع النجوى. وذكر حديث أبي رَزِين العقيلي قلت: يا رسول الله: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟

قال: «في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»[2].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: هذا الحديث رواه الإمام أحمد وجماعة، وهو من طريق وكيع بن حُدُس، ويقال ابن عُدُس، وهو ليس بذاك المشهور، وذكر بعضهم ـ كالحافظ – أنه مقبول، فليس بذاك المشهور من جهة السند وصحة السند، لكن لو صح، هذه أمور توقيفية، فإن لم يصح فالقول فيه كغيره، الله أعلم سبحانه وتعالى أخبرنا أنه فوق عرشه وأنه استوى على

---

(١) في نسخة: أنكر الصفات وأظهر قول جهم.

(٢) أحمد (١٥٨٩١) أول مسند المدنيين، من حديث أبي رزين رضي الله عنه.

العرش بعد ما خلق السماوات والأرض، وأما قبل ذلك فيصح حديث أبي رزين، فالأمر فيه واضح، وإلا فالجواب فيه ـ والله أعلم. وحديث وكيع بن حدس ليس من الأحاديث القوية التي يحسن الاعتماد عليها في الأصول، ولكن يمكن أن يكون له طرق أخرى وشواهد أخرى تعضده وتقويه، فينبغي التأمل، ينبغي مراجعة رواية أبي رزين في المسند، وفي أبي داود الطيالسي وفي غيره.

قال محمد: العماء السحاب الكثيف المطبق ـ فيما ذكره الخليل ـ وذكر آثاراً أخر ثم قال:

(باب الإيمان بالكرسي)

قال محمد بن عبد الله: «ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين. ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة في الآخرة، وفيه «فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه، ثم يحف الكرسي على منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها»(١).

وذكر ما ذكره يحيى بن سالم «صاحب التفسير المشهور» حدثني العلاء بن هلال عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين؛ ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه(٢).

وذكر من حديث أسد بن موسى، ثنا حماد بن سلمة عن زر عن ابن مسعود قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في فضل الجمعة ويومها من حديث أنس ﷺ.
(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٢٦٩) ٣/ الرد على الجهمية.

العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

ثم قال في (باب الإيمان بالحجب) قال: ومن قول أهل السنة أن الله بائن من خلقه يحتجب عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، وذكر آثاراً في الحجب.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا مثل ما جاء في حديث أبي موسى في الصحيح «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(١) سبحانه وتعالى، ومثل ما جاء في حديث أبي ذر عند مسلم قيل يا رسول الله: أرأيت ربك؟

قال: «رأيت نوراً»(٢) وفي لفظ قال: «نور أنى أراه»(٣) والله جل وعلا له من الحجب العظيمة والأنوار العظيمة ما لا يحصيه إلا الله ولا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى، لكن يوم القيامة يكشف الحجاب جل وعلا عن وجهه الكريم، فيراه المؤمنون في عرصات القيامة وفي الجنة وهو أعلى نعيم.

سؤال/ معنى بائن من خلقه؟

أجاب سماحته: يعني منفصل، مافيه شيء من خلقه، فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، بان كذا عن كذا يعني انفصل «بانت سعاد» يعني انفصلت سعاد.

---

(١) رواه مسلم (١٧٨) كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣].

(٢) رواه مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) المصدر السابق.

ثم قال في (باب الإيمان بالنزول) قال: ومن قول أهل السنة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً.

قال سماحة الشيخ ﷺ: «لا يحدوا حداً» يعني على ما جاء في النصوص «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث الآخر فيقول ـ سبحانه وتعالى ـ: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى ينفجر الفجر»(١) وفي اللفظ الآخر: «هل من سائل فيعطى سؤله، هل من مستغفر فيغفر له، هل من تائب فيتاب عليه»(٢).

فأهل السنة يمرونه كما جاء بغير تأويل ولا تفسير ولا حد، أما من قال: «ينزل ربنا» يعني ينزل ثوابه أو أمره أو ملك من الملائكة، هذا تأويل باطل، هذا إلحاد في الحديث، نسأل الله السلامة.

وذكر الحديث من طريق مالك وغيره. إلى أن قال: وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن الزهري عن ابن عباد قال: ومن أدركت من المشائخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى بن المبارك ووكيع كانوا يقولون: إن النزول حق، قال ابن وضاح: وسألت يوسف بن عدي عن النزول قال: نعم أومن به، ولا أحد فيه حداً، وسألت عنه ابن معين فقال: نعم أقر به، ولا أحد فيه حداً.

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) كتاب التهجد/ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين/ باب صلاة الليل والوتر، كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه مسلم (٧٥٨) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني لا أقول ينزل كذا ولا كذا، يعني لا أكيف، ينزل كما يشاء سبحانه وتعالى، لا يعلم كيف ينزل إلا هو، كما أنه استوى على العرش كما يشاء، لا يعلم كيفية استوائه إلا هو سبحانه وتعالى، وهكذا بقية الصفات، لا يعلم كيف يرضى ولا كيف يغضب ولا كيف يجيء يوم القيامة ولا كيف يضحك إلا هو سبحانه وتعالى، الكيفية إليه سبحانه وتعالى، هو أعلم بها جل وعلا، إنما علينا الإيمان بما أخبرنا به من ضحك ورضا وغضب ورحمة وعلم وسمع وبصر ونزول واستواء، نؤمن بها كما جاءت على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى، لا يعلم كيف صفاته إلا هو سبحانه.

سؤال/ في نسخة: آمروا بها.

أجاب سماحته: يعني آمروا بالإيمان بها، ومعنى: أمرّوها يعني لا أغير فيها شيئاً ولا أحد حداً، أمروها كما جاءت.

قال محمد: وهذا الحديث يبيّن أن الله عز وجل على العرش في السماء دون الأرض، وهو أيضاً بيّن في كتاب الله، وفي غير حديث عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦ – ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وذكر من طريق مالك: قول النبي ﷺ للجارية: «أين الله»؟ قالت: في

السماء. قال «من أنا»؟ قالت: أنت رسول الله. قال: «فأعتقها»[1] قال والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً، فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض، لا إله إلا هو العلي العظيم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا وصفه جل وعلا عند جميع أهل السنة، العلو صفة ذات، وأجمع عليها العلماء ودلت عليه الفطرة.

الله فطر العباد على الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى، وأنه فوق الجميع جل وعلا، حتى البهائم فطرها على رفع رأسها إلى السماء عندما يحزمها شيء.

فالمقصود أن الفطرة دلت على علوه وجاءت النصوص بذلك، جاء الكتاب العظيم والسنة المطهرة وجاء الأنبياء جميعاً بالإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى، وأما الاستواء فهو بالنص، بالنقل، استواؤه على العرش جاءت به النصوص النقلية السمعية، فالاستواء والعلو كلاهما صفتان عظيمتان ثابتتان لله سبحانه وتعالى، أما العلو فبالفطرة والعقل والنص جميعاً، وأما الاستواء فبالنص والسمع كما جاءت به النصوص، الكتاب والسنة.

وقال قبل ذلك في «الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه» قال: واعلم بأن أهل العلم بالله وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً، والعجز عن ما لم يدع إليه إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه.

---

(١) رواه مسلم وقد تقدم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا هو البصيرة، وهذا هو الحق، وهذا هو مقتضى العقل السليم، الجهل بما لم يخبر به علم، والعجز عن إدراك ذلك هو الحقيقة التي يجب أن يقر بها العبد، وأنه عاجز لا يعلم عن ربه إلا ما جاءت به النصوص، ولا يستطيع أن يقول عن ربه سوى ما جاءت به النصوص، فالجهل بما لم يخبر به عن نفسه هو العلم في الحقيقة، أن يقول العبد لا أعلم، الله أعلم، لا أدري عن هذا، إنما نعلم ما جاءت به النصوص ودلت عليه النصوص، فنصف الله بها وما أخبر به عن نفسه ونسكت عما سوى ذلك، فهذا هو العلم وهذا هو مقتضى الإيمان، العجز عن إدراك ما لم يخبر به هو الإيمان الصحيح، أما التكلف ودعوى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان؛ فهذا هو الجهل.

وقد قال ـ وهو أصدق القائلين ـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

سؤال/ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ والإسماع على علم.

أجاب سماحته: هذا واضح، يعني بمرأى من الله ومسمع منه سبحانه وتعالى، هو الذي جل وعلا سَيجبُره ويسهل له أمره، وفيه إثبات العين، يعني لا يقال هذا من لا عين له ولا سمع له ولا بصر، فالسفينة تجري بعينه؛ يعني برعايته سبحانه وتعالى، وفيه إثبات العين ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، لأنه رُبِّيَ على عينه سبحانه وتعالى، يعني بتوفيق الله لمن رباه حتى صار في أحسن حالة على يد أعدائه، ومع ذلك فيه إثبات العين لله عز وجل.

وجاءت النصوص في قصة الدجال: «إن ربكم ليس بأعور وإن الدجال أعور العين اليمنى»[1] ففيه إثبات العين وإثبات الرعاية من الله للسفينة، ولموسى عليه الصلاة والسلام.

سؤال/ إثبات صفة الاستهزاء؟

أجاب سماحته: يستهزئ بهم ويمكر بهم كما فعلوا، مكر بحق واستهزاء بحق يوصف به سبحانه وتعالى، فالمذموم الاستهزاء بالباطل والمكر بالباطل، أما استهزاؤه بهم ففي مقابل استهزائهم، لما استهزؤوا استُهزأ بهم ومُكِر بهم وكِيدوا وخدعوا، وهو بحق، يوصف به لأنه وصف حق يوصف به سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به جل وعلا.

وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧]. وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ الآية [النور: ٣٥]. وقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ [الحديد: ٣]، ومثل هذا في القرآن كثير.

فهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض، كما أخبر عن نفسه، وله وجه ونفس، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع ويرى ويتكلم.

---

(١) البخاري (٧١٢٣) كتاب الفتن/ باب ذكر الدجال، ومسلم (٢٩٣٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

سؤال/ صفة الكلام ذاتية فعلية لله؟

أجاب سماحته: أصولها ذاتية، يقال ذاتي ويقال فعلي لأنه بالاختيار، يسمى ذاتيا لأنه من صفات الذات، ويسمى فعلياً لأنه يقع عن المشيئة، يتكلم إذا شاء سبحانه وتعالى.

سؤال/ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾؟

أجاب سماحته: يعني ذاته سبحانه وتعالى بوجهه الكريم، عُبِّر بالوجه لأنه هو الأشرف، والمقصود أنه يبقى بوجهه الكريم، صفة الوجه مع بقائه سبحانه وتعالى، عبر بالوجه لأنه الصفة العظيمة، ولهذا قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] يعني هو بوجهه وذاته جميعاً، ليس بالوجه وحده، عبر بالوجه عن الذات كلها، لأنه موصوف بوجه سبحانه وتعالى، وهذه من طريقة العرب، يبقى وجه فلان يعني كل فلان، ليس الوجه فقط والباقي معدوم، يعني كله.

هو الأول لا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء، والباطن، بطن علمه بخلقه فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، قيوم حي، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وذكر أحاديث الصفات ثم قال: فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لم تره العيون فتحده كيف هو؟ ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان أهـ.

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم.

مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في «الغنية عن الكلام وأهله» قال: «فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه.

قال سماحة الشيخ ﷺ: قد أحسن أبو سليمان رحمه الله، كلام عظيم، قال قول أهل السنة، فقوم أفرطوا في التنزيه حتى عطّلوا كالجهمية والمعتزلة، وبعض الآخرين من أتباعهم كالأشاعرة في بعض الصفات، وقوم أفرطوا في الإثبات فمثلوا وشبهوا.

والحق ما قاله أهل السنة، وهو الوسط، وهو الإثبات بلا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل، إثبات بريء من التمثيل، وتنزيه بريء من التعطيل، وذلك إمرارها كما جاءت وإثباتها والإيمان بها وأنها حق، وأن الله لا شبيه له فيها سبحانه وتعالى.

سؤال/ الخطابي على مذهب أهل السنة في باب الصفات، أليس عنده تأويلات؟

أجاب سماحته: قد يقع بعض الناس في تأويل، قد يقع، ولكن في هذا الكلام كلام طيب، رحمه الله.

والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية؛ فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات

وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول إن معنى اليد القوة أو النعمة، ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إن القول إنما وجب بإثبات الصفات، لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها، لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات» هذا كله كلام الخطابي.

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك.

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحواً منه من العلماء من لا يحصى عددهم، مثل أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيى بن عمار السجزي، وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي «صاحب منازل السائرين» و«ذم الكلام» وهو أشهر من أن يوصف، وشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، وأبي عمر ابن عبد البر النمري إمام المغرب، وغيرهم.

وقال أبو نعيم الأصبهاني صاحب «الحلية» في عقيدة له قال في أولها: «طريقتنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة. قال: فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه».

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «محجة الواثقين ومدرجة الوامقين»

تأليفه: «وأجمعوا أن الله فوق سمواته، عالٍ على عرشه، مستوٍ عليه، لا مستولٍ عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان، خلافاً لما نزل في كتابه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، له العرش المستوي عليه، والكرسي الذي وسع السموات والأرض، وهو قوله: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وكرسيه جسم، والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية، بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبي ﷺ، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢]، وزاد النبي ﷺ: وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين، ويعذب من يشاء، كما قال تعالى: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ﴾ [آل عمران: ١٢٩].

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني ـ شيخ الصوفية.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: لعل المراد: الأوائل المعروفون، وهم أهل الزهد والورع. أهل التصوف الأوائل هم أهل الزهد والورع، مثل الجنيد وأبي سليمان الداراني وبشر الحافي وأشباههم، الذين اشتهروا عند الناس بالزهد والورع والعبادة والرغبة في الآخرة والزهد في هذه الدار، كان يقال لهم أهل الورع وأهل الزهد، ثم حدث هذا الاسم الجديد، التصوف.

في حدود المائة الرابعة في بلاده ـ قال: «أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها: «وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه عز وجل مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه الفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق.

وأن الله عز وجل سميع بصير عليم خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول: «هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه»؟ حتى يطلع الفجر، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين على هذا» أهـ.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: صدق معمر في هذا، هذا قول أهل السنة والجماعة، أنه سبحانه استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، وهكذا بقية صفاته، يرضى ويغضب ويتكلم إذا شاء، ويرحم عباده ويضحك إليهم، كل هذا واقع، لكن على الوجه اللائق به، من غير كيف ولا مشابهة للخلق سبحانه وتعالى، وهكذا النزول، الباب واحد، وهكذا جميع الصفات كلها باب واحد لأهل الحق، يجب إثباتها لله وإمرارها كما جاءت، والإيمان بها وأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، كما أن ذاته حق ولا تشبه ذوات المخلوقين؛ فهكذا صفاته حق ولا تشبه صفات

المخلوقين، ومن زعم خلاف ذلك فقد ضل وابتدع، وصار كلامه في ذلك يؤول إلى الإلحاد وإنكار وجود الذات بالكلية، نسأل الله العافية.

فمن أنكر الصفات؛ معناه قد عطل الله جل وعلا وأنكر وجوده، هذا مآل قولهم، نسأل الله العافية.

رحمة، غير ذلك، كله يليق بالله سبحانه وتعالى لا يشابه صفات المخلوقين، وهكذا وجهه ويده وقدمه وأصابعه وغير ذلك، طريقها واحد، الواجب إثباتها والإيمان بها وأنها حق على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

هذا قول أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، خلاف أهل الكلام الذين تنطعوا وقالوا ما ليس لهم به علم، فأوّلوا النصوص، وحقيقة ما قالوه التكذيب، نسأل الله العافية.

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في «كتاب السنة» ثنا أبو بكر الأثرم، ثنا إبراهيم بن الحارث يعني العبادي، حدثنا الليث بن يحيى قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث ـ قال أبو بكر هو صاحب الفضيل ـ قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]، فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه.

وكل هذا النزول والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع؛ كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلّع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف؟ فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: بل أومن برب يفعل ما يشاء.

قال سماحة الشيخ ﷺ: سبحانه وبحمده، هذا الحق ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، ومن ذلك الاستواء والنزول والضحك والرضى والغضب وغير ذلك.

ونقل هذا عن الفضيل جماعة، منهم البخاري في «أفعال العباد».

ونقل شيخ الإسلام بإسناده في كتابه «الفاروق» فقال: ثنا يحيى بن عمار، ثنا أبي، ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا حرمي بن علي البخاري وهانيء بن النضر عن الفضيل.

وقال عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين» قال: «باب ما يجيء به الشيطان للتائبين» وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني الشيطان قد يعمل هذا وهذا، قد يزين للعباد القنوط فيقنطون، ويُعظِّم عليهم أمر النار وأمر غضب الله فيقنطون بسبب بعض المعاصي التي قد فعلوها، وقد يزين لبعض الناس الغرور، وأنهم بلغوا منزلة ما بلغها أحد بعباداتهم، حتى يغتروا ويظنوا أنهم فاقوا الناس، وأنهم فوق الناس، وأنهم تعبدوا أكثر مما تعبده الأنبياء، فيقعون في الغرور ـ نعوذ بالله ـ والتكبر والمن على الله بما فعلوا، فيهلكون نسأل الله السلامة.

سؤال/ يقال: الناظر بعينه إلى أجسامهم، هل يقال: الناظر بعينيه إلى أجسامهم؟

أجاب سماحته: هذا صحيح وهذا صحيح، يقال عين، والمفرد المضاف يعم، مثل ما قال: يد، يصف يده يعني يديه، ويقال: بعينيه، لأن له

عينين سبحانه وتعالى، كما أن له يدين سبحانه وتعالى، هذا معناه.

سؤال/ يوجد كتاب اسمه، «حق العبيد على الله، وحق العباد على الله» لطه بن عبد الله العتيقه، يقول: إن الذي في السماء عذابه، وينكر بعض الصفات، يوجد في مكاتبنا.

أجاب سماحته: وما أكثر الكتب الكافرة الضالة يا ولدي، الكتب الضالة كثيرة جداً ملئت الدنيا، والذي وجدته اكتب لنا عنه حتى ننظر فيه، واكتب لنا عن المكتبة التي هو موجود فيها، وإذا كان لديك نسخة ارفق نسخة منه.

لا سيما في هذا العصر، في هذا العصر انفتحت أبواب الكتب والطباعة، وكثرت الكتب الباطلة، تطبع وتباع، ما هَمُّ أكثر الناس إلا الفلوس، تحصيل المال ولو كان الكتاب فاسداً مهلكاً، نسأل الله العافية.

فقال: «من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكل أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل. فقال بعد ذكر حديث الوسوسة:ـ

واعلم رحمك الله أن كلما توهمه قلبك، أو سنح في مجارى فكرك، أو خطر في معارضات قلبك، من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق أو جمال، أو سُنْح مسائل أو شخص متمثل؛ فالله تعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع لقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، أي لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل، أو لم تعلم أنه لما تجلى للجبل تدكدك لعظم هيبته وشامخ سلطانه؟ فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك: كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك، فَرُدَّ بما بيّن الله في كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل، والنظير والكفء.

فإن اعتصمت بها وامتنعت منه أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب ـ تعالى وتقدس ـ في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أَوْجِبْ له التشبيه فأكذبه؛ لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك، ويدخلك في صفات الملحدين الزائغين الجاحدين لصفة الرب تعالى.

واعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن الله تعالى واحد لا كالآحاد، فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ـ إلى أن قال ـ خلصت له الأسماء السنية، فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث تعالى صفة كان منها خلياً، واسماً كان منه برياً، تبارك وتعالى، فكان هادياً سيهدي، وخالقاً سيخلق، ورازقاً سيرزق، وغافراً سيغفر، وفاعلاً سيفعل، ولم يحدث له الاستواء إلا وقد كان في صفة أنه سيكون ذلك الفعل، فهو يسمى به في جملة فعله.

كذلك قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، بمعنى أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء وتخلف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه، لأن ذلك فعل الربوبية، فيستحسر العقل وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين لا معطلاً ولا مشبّهاً، وارض لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلماً مستسلماً مصدقاً، بلا مباحثة التنفير ولا مناسبة التنقير.

إلى أن قال: «فهو تبارك وتعالى القائل: أنا الله لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائياً، لا أمره المتجلي لأوليائه في المعاد، فتبيض به

وجوههم، وتفلج به على الجاحدين حجتهم، المستوي على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان ـ تبارك وتعالى ـ الذي كلم موسى تكليماً، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله لأنه قربه نجياً، تقدس أن يكون كلامه مخلوقاً أو محدثاً أو مربوباً، الوارث بخلقه لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسامهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته، خلق آدم ونفخ فيه من روحه ـ وهو أمره ـ تعالى وتقدس أن يحل بجسم أو يمازج بجسم أو يلاصق به، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، الشائي له المشيئة، العالم له العلم، الباسط يديه بالرحمة، النازل كل ليلة إلى سماء الدنيا ليتقرب إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبه بالناس.

إلى أن قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، القائل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦ - ١٧]، تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء، جل عن ذلك علواً كبيراً.أهـ.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: المقصود أن هذا الذي قاله هو الحق، فإن الناس في هذا الباب ثلاثة أقسام:

غلاة، وهم المشبهة.

ونفاة معطلون، وهم الجهمية وأشباههم.

وأهل السنة هم الوسط في هذا الباب، فلا مع المعطلين النافين للصفات؛ ولا مع المشبهين والممثلين الذين غلوا في إثبات الصفات، ولكنهم وسط بين الباطلين، وحق بين الباطلين، ووسط بين الطرفين، فأثبتوا

صفات الله، وأثبتوا أسماءه على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، من غير تعطيل ومن غير تشبيه، فلا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، أثبتوا صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق سبحانه وتعالى، ولم يمثلوا صفاته بصفات خلقه، ولم يعطلوا صفاته جل وعلا، بل هو المالك لكل شيء والقادر على كل شيء، وهو استوى على عرشه جل وعلا، وهو القادر على ذلك قبل وجود هذا الاستواء وقبل وجود العرش، وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى، كما أنه القادر على المجيء والإتيان، وإن كان لا يفعله إلا يوم القيامة حين يقضي بين عباده. وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى، وهو الذي يفعل ما يشاء، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى.

هذا هو الواجب على أهل العلم والإيمان، أن يصفوا الله بما وصف به نفسه، وينزهوه عما نزه عنه نفسه، وأن يؤمنوا بأنه جل وعلا له الكمال المطلق في كل شيء، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له ولا كفو له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى.

سؤال/ الشائي؟

أجاب سماحته: هذه أخذها من شاء، إثبات وجود المشيئة، ليس من أسمائه، من باب إثبات المشيئة والإرادة.

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي، في كتابه المسمى «فهم القرآن» قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ، وأن النسخ لا يجوز في الأخبار، قال: «لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء.

إلى أن قال: وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا؛ أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات، ولا قدرة

له، ولا يتكلم، ولا كلام كان منه، وأنه تحت الأرض لا على العرش، جل وعلا عن ذلك.

فإذا عرفت ذلك واستيقنته: علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره، كقوله عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠]، الآيات. وقال: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، وقال: قد تأول قوم: أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار، لأنه آمن عند الغرق، وقال: إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه، وقال: ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، وقال: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]، ولم يقل بفرعون. قال: وهكذا الكذب على الله، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥]، كذلك قوله: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [العنكبوت: ٣]، فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله، عز وجل عن أن يستأنف علماً بشيء، لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه ـ نجده ضرورة ـ قال: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وقال: وإنما قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١]، إنما يريد حتى نراه، فيكون معلوماً موجوداً، لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوماً من قبل أن يكون، ويعلمه موجوداً كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوماً موجوداً وإن لم يكن، وهذا محال.

وذكر كلاماً في هذا في الإرادة.

إلى أن قال: وكذلك قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، ليس

معناه أن يحدث له سمعاً، ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم، وقد ذهب قوم من أهل السنة أن لله استماعاً في ذاته، فذهبوا إلى أن ما يعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول؛ لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، لا يتحدث بصراً محدثاً في ذاته، وإنما يحدث الشيء فيراه مكوناً، كما لم يزل يعلمه قبل كونه.

إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [آل عمران: ٥٥]. وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وذكر الآلهة: أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً، حيث هو، فقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]، أي طلبه، وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

قال أبو عبد الله: فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً.

كذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، الآية. فليس هذا بناسخ لهذا، ولا هذا ضد لذلك.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا الذي قاله الحارث المحاسبي كلام عظيم، وهو موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، فإن أهل السنة أجمعوا على أن الأخبار لا تنسخ، وأن ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به عن الجنة والنار، وما كان وما يكون؛ هو محكم، كله لا يعتريه النسخ، بل هو محكم ثابت لا شك فيه ولا ريب، ولا يجب أن يخبر بأنه سبحانه هو الرحمن وهو الرحيم، وهو السميع، وهو البصير، وأن الجنة كذا والنار كذا، ثم يأتي بعد ذلك ما ينسخ ذلك، هذا مستحيل أبداً، بل هو الصادق في خبره، وخبره أصدق خبر ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

فهي أشياء ثابتة، وقد أخبر عن نفسه بأسمائه وصفاته، وهي ثابتة له سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فلا يجوز لعاقل أن يتأولها على غير تأويلها، وما جاء في مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] هذا على معناه، وهو أنه سبحانه مع علوه ومع فوقيته ومع كونه في العلو فوق العرش؛ هو مع عباده بعلمه واطلاعه ورؤيته لهم وقربه منهم سبحانه بعلمه واطلاعه جل وعلا، ولا يلزم من هذا نسخ تلك الأخبار التي أخبر بها عن نفسه أنه فوق العرش، وأنه فوق جميع الخلق، وأن

الأعمال تعرج إليه، والملائكة تعرج إليه، كله حق، وهو في العلو وفوق السماوات، ومع هذا فهو مع عباده بعلمه واطلاعه ورؤيته لأحوالهم، كذلك إذا أخبر أنه يعلم كذا أو لنعلم كذا؛ فالمعنى لنعلمه موجوداً بعدما علمه في القدر السابق سبحانه وتعالى، وهو يعلم ما كان قبل أن يوجد، ويعلمه بعد أن يوجد، ويراه بعد أن يوجد، كما هو معلوم له سبحانه وتعالى في القدر السابق، فلا تنافي بين هذا وهذا، وهكذا ما أشبه ذلك، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] معناه إثبات ما أخبر به، لكن على وجه لا يشابه فيه الخلق سبحانه وتعالى، بل له الكمال المطلق من كل الوجوه، والنقص للعباد وللخلق.

واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته، فيكون في أسفل الأشياء، أو ينتقل فيها لانتقالها، ويتبعض فيها على أقدارها، ويزول عنها عند فنائها، جل وعز عن ذلك، وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال، فزعموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كائناً، كما هو على العرش، لا فرقان بين ذلك، ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه، لأن كل من يثبت شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول؛ لم يغن عنه نفيه بلسانه، واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كائناً، ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا: لا كالشيء في الشيء.

قال أبو عبد الله: لنا قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١]، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٩٤]، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، فإنما معناه حتى يكون الموجود فيعلمه موجوداً، ويسمعه مسموعاً، ويبصره مبصراً، لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر.

وأما قوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ ﴾ [الإسراء: ١٦]، إذا جاء وقت كون المراد فيه.

وأن قوله: ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ ﴾ الآية [الأنعام: ١٨]. ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٤٢]، فهذا وغيره مثل قوله: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠]، هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها، منزه عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده، لأنه قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الملك: ١٦]، يعني فوق العرش، والعرش على السماء، لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء، في السماء، وقد قال مثل ذلك في قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [التوبة: ٢]، يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها، وكذلك قوله: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [المائدة: ٢٦]، يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها، وكذلك قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ [طه: ٧١]، يعني فوقها عليها.

وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك: ١٦]، ثم فصّل فقال: ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الملك: ١٦]، ولم يصل فلم يكن لذلك معنى - إذا فصل قوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ ثم استأنف التخويف بالخسف - إلا أنه على عرشه فوق السماء، وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ [السجدة: ٥]، وقال: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج: ٤].

فبين عروج الأمر وعروج الملائكة، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، فقال: صعودها إليه، وفصله من قوله إليه، كقول القائل: اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم، وذلك أنه في العلو وأن صعودك إليه في يوم، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه؛ فإنهم صعِدوا من الأرض وعرجوا بالأمر إلى العلو، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ولم يقل عنده.

قال سماحة الشيخ ﷺ: والمقصود من هذا ـ من قول الحارث المحاسبي رحمه الله ـ ما قاله أهل السنة؛ أن الله جل وعلا فوق العرش فوق جميع الخلق، وأن علمه سبحانه وتعالى لم يزل عالماً بأحوال عباده، بصيراً بهم، لطيفاً بهم جل وعلا، وأن قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٩] وما أشبهها، معناه الإحاطة بهم واطلاعه على أحوالهم، وأنه لا يخفى عليه خافية سبحانه وتعالى، وليس معناه أنه معهم في الأرض، وأنه حال في الأرض، وأنه في كل مكان، كما يقوله أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة وأشباههم، بل هذا من أكفر الكفر وأبطل الباطل، وهو سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق، وعلمه في كل مكان، وهكذا قوله سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] يعني في العلو، فإن السماء كل ما علا، معنى ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ يعني في العلو، يعني فوق السماوات فوق العرش، كما قال جل وعلا: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، يعني على الأرض ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، يعني على الأرض ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]،

يعني على هذه الجذوع، يعني فوقها.

قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني على السماء، إذا أريد به السماء المبنية فالمراد عليها وفوقها، وإذا أريد جنس السماء فالمعنى أنه في العلو سبحانه وتعالى، ولهذا قال: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، إلى غير هذا، مما يدل على العلو وأنه فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى.

هكذا لم يزل عالماً بصيراً بأحوال عباده، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، يعني حتى نعلم هذا خارجاً موجوداً، وإلا فعلمه بهم قبل أن يوجدوا، قد كتب ما يقولون، وقد علم سبحانه وتعالى ما يقولون قبل أن يوجدوا، فهو علم أحوالهم قبل وجودهم، وعلم أعمالهم قبل وجودها، يعلم كل شيء قبل وجود الخلق سبحانه وتعالى، قد سبق في علمه كل شيء.

وأما قوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]، يعني بعد وجودها، بعد ظهورها على الأرض، بعد إيجادهم لها، يعني حتى نعلمه موجوداً في الأرض بعدما كان في العلم فقط.

وقال فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٧]، فيما قال لي إن إلهه فوق السموات.

فبين الله سبحانه وتعالى أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه حيث قاله مع الظن بموسى أنه كاذب، ولو أن موسى قال: إنه في كل مكان بذاته لطلبه في بيته أو في بدنه أو حشه، فتعالى الله عن ذلك،

ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني أن موسى بلّغه أن ربه في العلو، أنه فوق العرش، ولهذا قال لوزيره هامان: ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ [غافر: ٣٦]، ولو كان في كل مكان لم يحتج في الأمر إلى هذا، فعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بهذا، الرسل ـ ومنهم موسى كليم الرحمن ـ أخبروا أممهم بأن الله في العلو فوق العرش سبحانه وتعالى.

سؤال/ الذين يقولون: إن الله في كل مكان، يكفرون بهذا؟

أجاب سماحته: نعم، نسأل الله العافية.

سؤال/ وإن كانوا جهالاً؟

أجاب سماحته: ينبهون ويعلمون، الجاهل يعلّم، يقال له: إن هذا كفر وضلال، وعليك التوبة.

قال أبو عبد الله: وأما الآي التي يزعمون أنها قد وصلها ـ ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه ـ فقال: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [المجادلة: ٧]، فأخبر بالعلم، ثم أخبر أنه مع كل مناج، ثم ختم الآية بالعلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة: ٧].

فبدأ بالعلم وختم بالعلم، فبيّن أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا، لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم، ولو اجتمع القوم في أسفل، وناظر إليهم في العلو فقال: إني لم أزل أراكم وأعلم مناجاتكم لكان صادقا ـ ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق ـ فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا: هذا منكم دعوى خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة، لأن من هو مع الاثنين فأكثر؛ هو معهم لا فيهم، ومن كان مع شيء خلا جسمه، وهذا

خروج من قولهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، لم يقل في السماء ثم قطع ـ كما قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، ثم قطع فقال: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، ـ فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، يعني إله أهل السماء وإله أهل الأرض، وذلك موجود في اللغة، تقول: فلان أمير في خراسان، وأمير في بلخ، وأمير في سمرقند، وإنما هو في موضع واحد ويخفى عليه ما وراءه، فكيف العالي فوق الأشياء، لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره؟ فهو إله فيهما إذ كان مدبراً لهما، وهو على عرشه وفوق كل شيء، تعالى عن الأشباه والأمثال»أهـ.

وقال الإمام «أبو عبد الله محمد بن خفيف» في كتابه الذي سماه «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» قال في آخر خطبته: فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولاً واحداً وشرعاً ظاهراً، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك حتى قال: «عليكم بسنتي»[1] وذكر الحديث. وحديث «لعن الله من

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة/ باب في لزوم السنة، والترمذي (٢٨٧٦)كتاب العلم/ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة.

أحدث حدثاً»(1) قال فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم، إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا كما نقل سائر الاختلاف، فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم، حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين، حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني إثباتَ أسماء الله وصفاته، والإيمان بذلك، وإمرار ذلك كما جاءت به النصوص على الوجه اللائق بالله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، هكذا درج الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم وأتباعهم بإحسان، ولم يختلفوا في هذا، وإنما اختلف أهل البدع من المعتزلة والجهمية وغيرهم، أما أصحاب النبي ﷺ فكلهم آمنوا بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أسماء الله وصفاته، وأثبتوها لله وآمنوا بها وأمرّوها كما جاءت عن عقيدة وعن إيمان، وقالوا فيها كما قال الله جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومدح الله من تابعهم على هذا الطريق فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهم وأتباعهم بإحسان هم الذين درجوا على الطريق السوي،

---

(١) رواه البخاري (٧٣٠٦) كتاب الاعتصام/ باب إثم من آوى محدثاً، ومسلم (٤٦٣) كتاب الحج/ باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة.

واستقاموا على منهج نبيهم ﷺ قولاً وعملاً وعقيدة في أسماء الله وصفاته وتوحيده وإخلاص العبادة له وترك ما خالف ذلك، وإن وقع منهم بعض الاختلاف في مسائل الفروع، في بعض المسائل التي تتعلق بالصلاة أو بالطلاق أو بالنكاح أو بغير ذلك، لكنهم ـ بحمد الله ـ أجمعوا إجماعاً قطعياً على الإيمان بأسماء الله وصفاته وتوحيده والإخلاص له وترك ما خالف ذلك، ولم يتنازعوا في هذا.

لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر، ولله المنة.

ثم إني قائل ـ وبالله أقول ـ إنه لما اختلفوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين من الصحابة والتابعين؛ فخاضوا في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار، وصار مُعَوّلهُم على أحكام هوى حسن النفس المستخرجة من سوء الظن به، على مخالفة السنة والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس، فتأولوا على ما وافق هواهم وصححوا بذلك مذهبهم، احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين، ومأخذ المؤمنين، ومنهاج الأولين، خوفاً من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته، ومنع المستجيبين له حتى حذرهم.

ثم ذكر «أبوعبدالله» خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه[1]

---

(١) قال الألباني: صحيح، وأخرجه البغوي أيضاً في شرح السنة (١٢١) طبع المكتب الإسلامي، ورجاله ثقات، على خلاف معروف في عمرو بن شعيب. أهـ التعليق على الطحاوية.

وقال أحمد شاكر: هو الحديث ٦٧٠٢ في مسند الإمام أحمد بتحقيقنا، وهو حديث صحيح، ومعناه ثابت في المسند أيضاً مختصراً برقم: ٦٦٦٨، وثابت أيضاً باختصار من رواية عبدالرزاق عن معمر عن عمرو بن شعيب، ورواه أحمد ٦٧٤١ عن =

وحديث «لا ألفين أحدكم»(١) وحديث «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»(٢) فإن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه، ثم قال: فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان، المعروفين بنقل الأخبار ممن لا يقبل المذاهب المحدثة؛ فيتصل ذلك قرناً بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة والأمانة، الحافظين على الأمة ما لهم وما عليهم من إثبات السنة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: رضي الله عنهم ورحمهم.

إلى أن قال: فأول ما نبتديء به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر أسماء الله عز وجل في كتابه، وما بيّن ﷺ من صفاته في سنته، وما وصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك، مما لا يجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك، ومما قد أمرنا بالاستسلام له - إلى أن قال:-

ثم إن الله تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية والإقرار بالألوهية: أن ذكر تعالى في كتابه بعد التحقيق بما بدأ من أسمائه وصفاته، وأكد عليه السلام بقوله، فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله إلا الله. إلى أن

= عبدالرزاق، ورواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص٧٨ من طريق عبدالرزاق، وروى مسلم في صحيحه ٢/ ٣٠٤ نحو معناه من رواية عبدالله بن رباح عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو كذلك في المسند ٦٨٠١.

(١) رواه الترمذي (٢٦٦٣) كتاب العلم/ باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ من حديث أبي رافع رضي الله عنه ورواه أبو داود بنحوه عن المقدام بن معديكرب رضي الله عنه كتاب السنة/ باب لزوم السنة.

(٢) روه الترمذي، وانظر: «صحيح الجامع» (٥٢١٩)، و«الصحيحة» (١٣٤٨) للألباني.

قال بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل، فقال لموسى ﷺ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح ﷺ فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال عز وجل: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وأكد ﷺ صحة إثبات ذلك في سنته فقال: «يقول الله عز وجل: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي»(١) وقال: «كتب كتاباً بيده على نفسه: إن رحمتي غلبت غضبي»(٢) وقال: «سبحان الله رضى نفسه»(٣) وقال في محاجة آدم لموسى: «أنت الذي اصطفاك الله واصطنعك لنفسه»(٤) فقد صرح بظاهر قوله أنه أثبت لنفسه نفساً، وأثبت له الرسول ذلك، فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه، ويكون ذلك مبيناً على ظاهر قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني: وهكذا بقية الصفات، مراده ـ رحمه الله ـ أنه كما بيّن لنا توحيده، وأنه مستحق للعبادة، وبيّن بطلان الشرك؛ هكذا بيّن أسماءه وصفاته حتى نعرفه بها سبحانه، فوجب على الأمة تقبل هذه الأسماء والصفات والإيمان بها، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: (ويحذركم الله نفسه) ومسلم (٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) متفق عليه، وقد تقدم.

(٣) رواه مسلم (٧٩) كتاب الذكر/ باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٤) رواه البخاري (٤٧٣٦) تفسير سورة طه/ باب (واصطنعتك لنفسي).

شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] نؤمن بها ونمرها كما جاءت، على هذا المنوال، على هذا الأساس، وأنه سبحانه لا يماثله شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ومن ذلك النفس، قد ذكرها في مواضع من كتابه سبحانه وتعالى، وذكرها رسوله ﷺ، نؤمن بها كما جاءت ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]، ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فهذه الآيات وما جاء في معناها؛ كلها دالة على إثبات النفس، وهكذا الأحاديث، فوجب على أهل الإيمان إثباتها وأنها حق، لكنها ليست من جنس أنفس المخلوقين، بل لله سبحانه وتعالى نفس وسمع وبصر ورضا ورحمة وغير ذلك، كله يليق بالله سبحانه وتعالى، لا يشابه صفات المخلوقين، وهكذا وجهه ويده وقدمه وأصابعه وغير ذلك، كلها طريقها واحد، الواجب إثباتها والإيمان بها، وأنها حق على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، هكذا قول أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، خلاف أهل الكلام الذين تنطعوا وقالوا ما ليس لهم به علم، وأولوا النصوص، وحقيقة ما قالوه التكذيب، نسأل الله العافية.

ثم قال: فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه ـ بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به ﷺ، وإن مما قضى الله علينا في كتابه، ووصف به نفسه، ووردت السنة بصحة ذلك أن قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، ثم قال عَقِيب ذلك: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]،

وبذلك دعاه ﷺ: «أنت نور السموات والأرض»(١) ثم ذكر حديث أبي موسى: «حجابه النور - أو النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»(٢) وقال: سبحات وجهه جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد، وقال: قال عبد الله بن مسعود: نور السموات نور وجهه.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: من تأمل فيه يقتضي أن الحجاب غير السبحات، وأنه حجاب مستقل، وهو نور أيضاً بائن من وجهه الكريم سبحانه وتعالى، ولهذا قال: «لو كشفه».

ثم قال: ومما ورد به النص أنه حي، وذكر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والحديث: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»(٣) قال: ومما تعرّف الله إلى عباده أن وصف نفسه أن له وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام، فأثبت لنفسه وجهاً، وذكر الآيات.

ثم ذكر حديث أبي موسى المتقدم، فقال في هذا الحديث من أوصاف الله عز وجل لا ينام، موافق لظاهر الكتاب ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأن له وجهاً موصوفاً بالأنوار، وأن له بصراً، كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير، ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه، وفي إثبات السمع والبصر، والآيات الدالة على ذلك.

---

(١) رواه البخاري (١١٢٠) كتاب التهجد/ باب التهجد بالليل، ومسلم (١٩٩) كتاب المسافرين.

(٢) رواه مسلم (١٧٨) كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى).

(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٢٤).

ثم قال: ثم إن الله تعالى تعرّف إلى عباده المؤمنين أن قال: له يدان قد بسطهما بالرحمة، وذكر الأحاديث في ذلك، ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت.

ثم ذكر حديث: «يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله» وهى رواية البخاري، وفي رواية أخرى: «يضع عليها قدمه»(١).

ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: أن الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله(٢). وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السدي، وقول وهب بن منبه، وأبي مالك وبعضهم يقول: موضع قدميه، وبعضهم يقول: واضع رجليه عليه.

ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة موافقة لقول النبي ﷺ متداولة في الأقوال، ومحفوظة في الصدر، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم، إلى أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: الله يقللهم ويكفينا شرهم.

سؤال/ هل ثبت أن من أسماء الله النور؟

أجاب سماحته: ما أعرف شيئاً في هذا من الروايات، لا أذكر شيئاً سوى الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥]، وكذلك «حجابه النور»(٣).

سؤال/ الأحاديث في عدم زيارة أهل البدع وعدم تشييع جنائزهم؟

---

(١) متفق عليه، وقد تقدم.

(٢) رواه ابن بطه في «الإبانة» (٢٦٩) ٣/ الرد على الجهمية.

(٣) رواه مسلم وقد تقدم.

أجاب سماحته: جاء في عدة روايات، وظاهر كلام الشيخ تقي الدين إثباتها، أنهم مجوس هذه الأمة، لأن لها طرقاً متعددة يشد بعضها بعضاً.

سؤال/ الكرسي موضع القدمين!

أجاب سماحته: هكذا ثبت عن ابن عباس، ومثل هذا لا يقال بالرأى.

ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا أن لا نعود مرضاهم ولا نشيع جنائزهم، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه، وعمدوا إلى الإخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام المقاييس، وكفّروا المتقدمين، وأنكروا على الصحابة والتابعين، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

ثم ذكر: المأثور عن ابن عباس، وجوابه لِنَجْدَة الحروري، ثم حديث «الصورة» وذكر أنه صنّف فيه كتاباً مفرداً، واختلاف الناس في تأويله. ثم قال: وسنذكر أصول السنة، وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقْنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة - إن شاء الله - ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها، وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم «الصدّيق» وأنه أفضل الأمة.

ثم قال: وكان الاختلاف في «خلق الأفعال» هل هي مقدّرة أم لا؟ قال: وقولنا فيها إن أفعال العباد مقدّرة معلومة، وذكر إثبات القدر، ثم ذكر الخلاف في «أهل الكبائر» ومسألة «الأسماء والأحكام» وقال: قولنا فيها أنهم مؤمنون على الإطلاق وأمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم.

وقال: أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد، فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه.

وقال: قولنا إنه يزيد وينقص. قال: ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقاً وغير مخلوق، فقولنا وقول أئمتنا إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه صفة الله، منه بدأ قولاً وإليه يعود حكماً، ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال: قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد أن الله يرى في القيامة، وذكر الحجة.

ثم قال: اعلم رحمك الله أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدِثين في كل الأزمنة، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود. فنقول: ونعتقد أن الله عز وجل له عرش، وهو على عرشه فوق سبع سمواته بكل أسمائه وصفاته، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، ولا نقول إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه، لأنه عالم بما يجري على عباده ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

إلى أن قال: ونعتقد أن الله تعالى خلق الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان للبقاء لا للفناء. إلى أن قال: ونعتقد أن النبي ﷺ عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى.

> **قال سماحة الشيخ** رحمه الله: يعني بروحه وجسده، ليس نوماً بل يقظة.

إلى أن قال: ونعتقد أن الله قبض قبضتين فقال: «هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار».

> **قال سماحة الشيخ** رحمه الله: «قبضتين» يعني قبضة للجنة وقبضة للنار، يعني خلق أهل الجنة ووفقهم لأعمالها، وخلق أهل النار وخذلهم ولم يوفقهم لأعمال أهل الجنة، نسأل الله السلامة.

ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضاً، ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع، وذكر الصراط والميزان والموت، وأن المقتول قتل بأجله واستوفى رزقه.

إلى أن قال: ومما نعتقد أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: كل هذا يبيّن فيه أن المؤلف محمد بن خفيف على طريقة أهل السنة والجماعة في إثبات ما أثبته أهل السنة والجماعة في جميع ما ذكر من إثبات الإيمان، وأنه حق، وأنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأن العصاة تحت مشيئة الله، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أدخلهم النار على قدر معاصيهم التي ماتوا عليها، وهكذا ما ذكره من إثبات العرش، وأن الله فوق العرش كما يشاء سبحانه وتعالى، وعلمه في كل مكان، هكذا ما ذكره من غير ذلك من العروج بمحمد ﷺ بنفسه إلى أن رقى فوق السماء السابعة، كل هذا حق، وهكذا ما ذكر من خلق الجنة والنار، أن الله خلقهما، وهما موجودتان للبقاء لا للفناء، أعد الجنة للمتقين وأعد النار للكافرين، إلى غير هذا مما بيّنه رحمه الله، وأنه على طريق أهل السنة والجماعة، وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو على طريقة أهل السنة رحمه الله.

فيبسط يده فيقول: «ألا هل من سائل»؟[1] الحديث، وليلة النصف من شعبان.

---

(١) رواه البخاري (١١٤٥) كتاب التهجد/ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين/ باب صلاة الليل والوتر، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: أما ما يتعلق بليلة النصف من شعبان فالحديث فيه ضعيف، وقد خفي على المؤلف ابن خفيف رحمه الله، أما تنزله يوم عرفة فقد جاء هذا في صحيح مسلم أن الله يدنو ويباهي بهم الملائكة، يعني الواقفين بعرفة، يدنو، وليس فيه تصريح إلى سماء الدنيا، إن الله ينزل فيباهي بهم الملائكة فيقول: «ما أراد هؤلاء»(1) والنزول آخر الليل هذا ثابت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»؟(2) وفي اللفظ الآخر: «هل من داع فيستجاب له، هل من سائل فيعطى سؤله، هل من تائب فيتاب عليه»؟(3) كل هذا حق.

أما ما يتعلق بالنصف من شعبان فالحديث فيها ضعيف، ولم يثبت في النصف من شعبان أحاديث لا في قيامها ولا في صوم نهارها ولا في التنزل، كل ما ورد فيها فهو ضعيف عند أهل العلم.

سؤال/ إذا كان له ورد في الصيام كالاثنين والخميس وصادف النصف من شعبان هل يصوم؟

أجاب سماحته: يصومه، أيام البيض والاثنين والخميس يصومها في شعبان وغيرها.

سؤال/ بعض المتأخرين جمع طرق «إن الله ينزل ليلة النصف من

---

(1) رواه مسلم (١٣٤٨) كتاب الحج/ باب فضل يوم عرفة، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(2) متفق عليه وقد مضى.

(3) رواه مسلم وتقدم.

شعبان» ويقول إنها صحيحة، الشيخ ناصر الألباني!

أجاب سماحته: تراجع، أما علمي به أنه ليس بصحيح، تتبعته من قديم وليس بصحيح، لكن يراجع، قد يغلط في بعض المسائل، في بعض الأحاديث.

سؤال/ مثل هذه الأشياء هل تقبل إذا كان درجة الحديث من قبيل الحسن لغيره؟

أجاب سماحته: قد يقع، لكن باب الصفات باب عظيم، ينبغي الاعتناء بالأكثر.

وعشية عرفة، وذكر الحديث في ذلك. قال: ونعتقد أن الله تعالى كلّم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلاً، وأن الخُلَّة غير الفقر.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: **الفقر يقال له خَلّة، يعني حاجة، فهم تأولوه على** الحاجة، يعني اتخذه فقيراً إليه، وهذا غلط، الخُلَّة هي المحبة، اتخذه خليلاً يعني محبوباً محبة خاصة، كما اتخذ محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ خليلاً.

والله يحِب ويحَب جل وعلا، ولكن أهل البدع تأولوها على إرادة الخير وإرادة الإحسان، وهذا غلط، فإن المحبة صفة مستقلة غير الإرادة، تليق بالله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فتكررت في القرآن الكريم وجاءت في السنة، والخُلّة أعلاها وأكملها.

لا كما قال أهل البدع.

ونعتقد أن الله تعالى خص محمداً ﷺ بالرؤية.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا الذي قاله أبو عبد الله ابن خفيف في الرؤية مرجوح، والصواب أنه لم ير ربه عليه الصلاة والسلام ولم يختص بها، بل لم ير أحد ربه في الدنيا، لا محمد ولا غيره، والرؤية مما ادخرها الله للمؤمنين في الآخرة، قال ﷺ في الحديث الصحيح: «واعلموا أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت»[1] ولما سئل عن الرؤية هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نوراً» وفي لفظ آخر: «نور أنى أراه»[2] هذا هو الصواب، وأنه ﷺ إنما كلّمه ربه كما كلّم موسى، أما الرؤية فلم يره، جاء في الحديث الصحيح حديث أبي موسى: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[3] سبحانه وتعالى.

فالرؤية لها شأن عظيم، وهي أعلى نعيم أهل الجنة، فادخرها الله لهم في الآخرة، وليست من نعيم الدنيا، الدنيا دار الأكدار والأحزان والمعاصي والكفر والضلال، فليست الرؤية من نعيم أهلها، وإنما هي من نعيم أهل الجنة والسعادة في الآخرة.

والعجب من المؤلف رحمه الله ـ المصنف ـ كيف سكت عن هذا ولم ينبه عليه؟ كما لم ينبه على ما تقدم من النزول في شعبان.

ينبغي التنبيه على هذا، وهذا ليس بمسلّم لا هناك ولا هنا، فالصواب أنه لم ير ربه في الدنيا، والأحاديث في نزول شعبان ضعيفة، ونبّه على هذا ابن القيم وغيره.

---

(١) رواه الترمذي من حديث عمرو وقال: حديث حسن صحيح (٢٢٣٥) كتاب الفتن/ باب ما جاء في علامة الدجال، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه.

(٢) كلاهما قد تقدم عند مسلم من رواية أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم وقد تقدم.

واتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ونعتقد أن الله تعالى اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية [لقمان: ٣٤].

سؤال/ يقولون في الخمس التي لا يعلمهن إلا الله ما يضاد من معرفتهم الجنين ذكراً أو أنثى؟

أجاب سماحته: هذا بعدما يتخلق، بعدما يأذن الله للملك أن يُخَلِّقه ذكراً أو أنثى، بعد أن اطلع عليه الملك صار العلم مشتركاً، لم يعد هو من خصائص الله، وهذا ممكن بالآلات الاطلاع على شيء من هذا بعد التخليق، أما قبل ذلك فلا.

ونعتقد المسح على الخفين.

قال سماحة الشيخ ﷺ: ذكروا المسح هنا لأنه يخالف عقيدة الرافضة في إنكار المسح، لهذا ذكر أهل السنة المسح على الخفين هنا، وإن كانت مسألة فرعية، لكن لما كان أهل الرَّفض يخالفون فيها أثبتوها في عقائد أهل السنة.

ثلاثاً للمسافر ويوماً وليلة للمقيم، ونعتقد الصبر على السلطان من قريش.

قال سماحة الشيخ ﷺ: كذلك قوله «من قريش» ليس بجيد، وإن كان هو الأصل، لكن السلطان يُصبر عليه ولو من غير قريش، إذا تولى لا يُخرج عليه بالمعصية «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»[١] سواء كان من قريش أو من المماليك أو من أي جنس، متى تولى على الناس

(١) متفق عليه وقد تقدم.

وبايعوه، أو غلب عليهم بسيفه وجب السمع والطاعة له، كما جاء في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، لكن البيعة الاختيارية تكون لقريش إذا تيسر من يصلح لهذا وأرجى.

ما كان من جور أو عدل ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد، والجهاد معهم ماضٍ إلى يوم القيامة، والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب إذا لم يكن عذر أو مانع، والتراويح سنة، ونشهد أن من ترك الصلاة عمداً فهو كافر.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذه من ابن خفيف يدل على علم كبير، كونه أقدم على هذا مع كثرة المنازعين فيه؛ يدل على قوة تحقيق وكمال علم، لقوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[1] وفي اللفظ الآخر: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»[2].

والشهادة والبراءة بدعة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: تحتمل أنه الشهادة لأحد بجنة أو نار لإنسان معين إلا بدليل كما قال أهل السنة والجماعة، أو البراءة من معين إلا بدليل، تحتمل، عبارة مجملة.

سؤال/ البراءة عند الرافضة يتبرؤون من أبي بكر وعمر؟

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٢١) كتاب الإيمان/ باب ما جاء في ترك الصلاة من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وكذا رواه النسائي وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم (٨٢) كتاب الإيمان/ باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، من حديث جابر رضي الله عنه.

أجاب سماحته: ليس واضحاً، ممكن، البراءة من أولياء الله لا يختص بأبي بكر وعمر، البراءة من أولياء الله منكر عظيم، حتى من غير أبي بكر وعمر.

سؤال/ هل يقال للشهيد شهيد؟

أجاب سماحته: نعم، إذا قتل في سبيل الله فهو شهيد في الحكم الشرعي، أما فيما بينه وبين الله فالله يتولاه سبحانه وتعالى، لكنه شهيد، لا يغسل ولا يصلى عليه إذا قتل في سبيل الله شهيداً.

والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني ولو كان عنده معصية يصلى عليه، من مات من أهل القبلة ـ يعني من أهل الإسلام ـ يصلى عليه، وإن كان عنده شيء من المعاصي، ليس من شرط الصلاة على الجنائز أن يكون كاملاً أو سليماً، بل يصلى على الطيب وعلى العاصي، لأن الصلاة شفاعة تنفعه.

ولا ننزل أحداً جنةً ولا ناراً حتى يكون الله ينزلهم، والمراء والجدال في الدين بدعة.

سؤال/ ما الفرق بين المراء والجدال؟

أجاب سماحته: قد يكون المراء أشد، قد يكون الجدال إذا اشتد صار مراءً.

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ أمرهم إلى الله، ونترحم على عائشة ونترضى عنها، والقول في اللفظ والملفوظ.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني القول لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، لأن هذا فيه إجمال، ولهذا أنكر السلف على من قال هذا، ولكن يصرح: صوتي مخلوق، وأما القرآن فليس بمخلوق، يوضح ولا يجمل.

وكذلك في الاسم والمسمى بدعة، والقول في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة.

واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملاً من غير استقصاء، إذ تقدم القول من مشائخنا المعروفين من أهل الإبانة والديانة، إلا إني أحببت أن أذكر «عقود أصحابنا المتصوفة» فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وقصده من هذا بيان عقيدة أهل السنة والجماعة التي تلقوها عن سلف الأمة من الصحابة، وأن هؤلاء الذين ينتسبون إلى التصوف من أهل الزهد والورع والاستقامة؛ ليسوا على حال المتأخرين الذين غيّروا وبدّلوا.

فمقصوده أن أهل التصوف قسمان: قسم ساروا على نهج السلف ونسبوا إلى التصوف منهم من نسب، لورعه وزهده وإقباله على العبادة، ولكنه متمسك بطريقة أهل السنة والجماعة، كالجنيد وأبي سليمان الداراني وبشر الحافي وأشباههم من أهل الصدق.

أما الذين أحدثوا وغيروا وبدلوا وأحدثوا بدعاً كثيرة؛ هؤلاء ليسوا منهم في الحقيقة.

إلى أن قال: وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه «التبصير» كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم، وسألوه أن يصنف لهم ما يعتقده ويذهب إليه، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله تعالى، فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة.

ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة، لم يخص طائفة، فبيّن أن

ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم، وكان من نسب إليه ذلك القول ـ بعد أن ادعى على الطائفة ـ ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم محله عند المخلصين، فكيف بابن أخته؟ وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولاً نسب إلى الجملة، كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولاً في الفقه؛ وليس فيه حديث يناسب ذلك؛ ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين.

واعلم أن لفظ الصوفية وعلومهم تختلف، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق، ونازل ما هم عليه رجع عنهم وهو خاسئ وحسير.

ثم ذكر إطلاقهم لفظ الرؤية بالتقييد فقال: كثيراً ما يقولون: رأيت الله يقول. وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل: هل رأيت الله حين عبدته؟ قال: رأيت الله ثم عبدته. فقال السائل: كيف رأيته؟ فقال: لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان، ثم قال: وأنه تعالى يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله ﷺ.

هذا قولنا وقول أئمتنا، دون الجُهَّال من أهل الغباوة فينا.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: مراده رحمه الله أن لهم اصطلاحات قال: لا يفهمها كثير من الناس، فينسبون إليهم ما هم براء منه، وفيهم جهّال قد لا يتقيدون بالسنة، وما عليه سلف الأمة، وهو صادق في هذا كله، وكان ينبغي لهم أن لا يأتوا بألفاظ مبهمة، وينبغي لهم أن لا يأتوا بألفاظ تستنكر عليهم، بل ينبغي أن يسلكوا الطريق الواضح، حتى لا يتهموا بالباطل، فاللوم يلامون عليه فيما أحدثوا من الإشارات والاصطلاحات التي قد لا يفهمها من لا يعرف حالهم.

وأن مما نعتقده أن الله حرّم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وذكر ذلك في حجة الوداع، فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح الحقُ له ما حظر على المؤمنين - إلا المضطر على حال يلزمه إحياء للنفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات - فذلك كفر بالله، وقائل ذلك قائل بالإباحة، وهم المنسلخون من الديانة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا مثل ما قال المؤلف: من زعم أن له صلة بالله، وأنه يروي بقلبه عن ربه، مما يظنه رواية الجهال من الصوفية، حتى يحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله على الناس، بزعمهم أنهم تلقوه عن ربهم؛ هذا من الكفر والضلال، فليس هناك وحي بعد رسول الله ﷺ، بل قد انقطع الوحي وتمت الرسالة وختمت، فالواجب على جميع الناس أن يتلقوا دينهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وعن كتاب الله، فمن زعم من الصوفية أن له طريقة أخرى يتلقى بها العلم عن الله دون الرسول ﷺ؛ فهذه طريقة فاسدة وباطلة، بل كفر وضلال وخروج عن دائرة الإسلام، نسأل الله العافية.

وأن مما نعتقده ترك إطلاق تسمية العشق على الله تعالى، وبيّن أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه ولعدم ورود الشرع به.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وقد صدق، لا يقال عشقت الله، ولكن يقال أحببت الله، لأن العشق كلمة مجملة، وتقع في ألسنة المفسدين والسفهاء، فالعشق المحرم هو المحبة المحرمة، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، فالحب ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فلا يُأتَى بألفاظ محدثة لم ترد في النصوص، ولكن يقول: أحب الله ورسوله، وأحببت الله ورسوله، لأن هذا هو الذي جاء في النصوص، كذا الشوق إلى الله، جاء في النصوص في الحديث «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»[١].

(١) رواه النسائي (١٣٠٥) كتاب صفة الصلاة/ باب الدعاء بعد الذكر من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

وقال: أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة، وفيما نص الله من ذكر المحبة كفاية.

وأن مما نعتقده أن الله لا يحل في المرئيات، وأنه المتفرد بكمال أسمائه وصفاته، بائن من خلقه، مستوٍ على عرشه.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا هو الحق، أنه سبحانه فوق العرش فوق جميع الخلق، ليس حالاً في المخلوقات، بل هو فوق العرش، فوق جميع الخلق، بائن من خلقه سبحانه وتعالى، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، وهو قول أهل الحق، وهو الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسنة، فما قاله أبو عبد الله ابن خفيف هو الصواب في هذا، كما تقدم أيضاً.

وأن القرآن كلامه غير مخلوق ـ حيث ما تلي ودرس وحفظ ـ ونعتقد أن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً واتخذ نبينا محمداً ﷺ خليلاً وحبيباً، والخُلَّة لهما منه على خلاف ما قاله المعتزلة: إن الخُلَّة الفقر والحاجة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والخُلَّة عند أهل السنة هي أعلى المحبة، وليست الفقر والحاجة كما يقول بعض الصوفية، بل الخلة هي بمعنى المحبة الخالصة الكاملة، والقرآن هو كلام الله ـ كما قال المؤلف ـ منزّل غير مخلوق عند أهل السنة والجماعة، والخليلان هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، خصهما الله بأعلى المحبة وأكملها، وهو سبحانه يحب كل مؤمن، يحب كل مؤمنة، ويحب جميع الرسل والأنبياء، لكنه اختص هذين الشخصين بالخلة، وهما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وهي أعلى المحبة.

إلى أن قال:

والخُلَّة والمحبة صفتان لله هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخُلَّة جائز عليها

الكيف، فأما صفاته تعالى فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط.

قال سماحة الشيخ ﵀: وهذا قول أهل السنة والجماعة، فهي خلة تليق بالله و محبة تليق بالله، لا تشابه خلة المخلوقين ولا محبة المخلوقين، وهكذا بقية الصفات، كلها تليق بالله على وجه لا يماثل فيه خلقه، فالكيفية منتفية.

ومما نعتقده أن الله أباح المكاسب والتجارات والصناعات، وإنما حرم الله الغش والظلم، وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء، إنما حرم الله ورسوله الفساد، لا الكسب والتجارات، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة.

قال سماحة الشيخ ﵀: وهذا مثل ما قال المؤلف هو الحق ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فالله أباح المكاسب والصناعات، من النجارة والحدادة والخرازة وغير ذلك، وكل ما ينفع العباد، وإنما حرّم المكاسب الخبيثة، كالغش والخيانة والربا ونحو ذلك، أما المكاسب المباحة فالله أباحها للعباد، والعقود المباحة من الإجارات والبيوع وغير ذلك ليستعينوا بها على طاعته وأداء حقه سبحانه وتعالى.

وأن مما نعتقد أن الله لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات، لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة، والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال، والناس يتقلبون في الحرام؛ فهو مبتدع ضال.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا من التكلف وسوء الظن، فالله أباح الحلال وأمر به، وهو موجود بحمد الله، فمن زعم أنه انتزع من الأرض فقد غلط وضل، فالحلال موجود يجده من طلبه في المكاسب الشرعية المباحة.

إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع، لا أنه مفقود من الأرض.

ومما نعتقده أنا إذا رأينا من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه، والمعاملة في تجارته، فليس علينا الكشف عما قاله، فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط جاز، إلا من داخل الظلمة.

ومن يَنزِع عن الظلم وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك؛ فالسؤال والتوقي، كما سأل الصدّيق غلامه، فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا؛ فلا يطلق عليه الحلال ولا الحرام، إلا أنه مشتبه، فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصدّيق.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: ومعنى هذا أن الأصل الإباحة، فمن ظاهره الخير لا يظن به السوء، فيأكل طعامه ويشرب شرابه، ومن تلبس بشيء من الحرام وسئل عن ذلك فلا بأس، ولكن عليه أن يستبرىء من الحرام ويبعده من ماله وينتفع بالحلال، فإذا دخل عليه مال من الحرام، من سرقة أو من خيانة أو من غير ذلك من طرق الحرام؛ استبرأ وأبعده من ماله بالتحري والظن، وأكل البقية سليماً لا حرج فيه، والتوبة تجُبُّ ما قبلها.

سؤال/ الذين يتركون البيع والشراء تورعاً؟

أجاب سماحته: لا وجه لهذا، فقد باع النبي عليه الصلاة واشترى، وباع الصحابة واشتروا، وهم خير الناس.

وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة، والناس طبقات، والدين الحنيفية السمحة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: الناس طبقات، فيهم الطيب والخبيث، فيهم الصالح والطالح، فيهم من يتهم ومن لا يتهم، فالمؤمن يتحرى الخير وينصح لله ولعباده، ولا بأس أن يسأل عند وجود الريبة.

سؤال/ إذا كان يعرف بالتعامل بالربا أو يبيع آلات محرمة أو عنده محل استديو أو غناء، هل يتورع من الدخول عليه أو يقال اختلط ماله؟

أجاب سماحته: الواجب أنه ينكَر عليه ويستحق الهجر، أقل شيء استحباب الهجر له، حتى يتوب من أعماله السيئة، من ظاهره الفسق هذا يستحق أن يهجر، واختلفوا في الوجوب، هل نقول يستحق أن يهجر إذا كان الهجر أنفع، فإن كان الهجر لا ينفع فإنه يوالى عليه النصح والتوجيه والإنكار حتى يستقيم، وإذا اختلط الحلال بالحرام جاز له، لأنه لا يعلم أين الحرام.

وأن مما نعتقد أن العبد ما دام أحكام الدار جارية عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء، وكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله، وبما أخبر به عن نفسه ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا كلام صحيح، فإن العبد ما دامت أحكام العبادات والتكليف جارية عليه؛ فإن الواجب عليه أن يخاف ويرجو، وليس له أن يأمن، وليس له أن يقنط، بل يكون بين الرجاء والخوف ما دام عقله معه، ما دامت أحكام التكليف جارية، أما إذا ذهب عقله، هرم، يعني خرف، ذهب عقله أو جن؛ سقط عنه هذا، لكن مادام عقله معه فإنه عليه أن يخاف ويرجو، فلا يجوز له أن يقنط بسبب معاصيه، وليس له أن يأمن بسبب طاعاته ويعجب بنفسه ويقول إنه ناج، بل يخاف ويرجو، فيسير إلى الله بين

الخوف والرجاء، يسأل الله أن يتقبل منه، وأن يعيذه من غضبه وأسباب العذاب، ويرجو رحمة ربه جل وعلا، هذا هو الواجب على المؤمن، ولهذا حكى الله جل وعلا عن أهل الخير من الأنبياء والصالحين فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال في أهل الصلاح: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهكذا الرسل وأتباعهم.

وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك.

ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه، فيبقى على أحكام القوة والاستطاعة؛ إذ لم يسقط الله ذلك عن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية، والخروج إلى أحكام الأحدية المسدية بعلائق الآخرية؛ فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة أو رأفة، فصار معتوهاً أو مجنوناً أو مبرسماً، وقد اختلط عقله أو لحقه غشية يرتفع عنه بها أحكام العقل، وذهب عنه التمييز والمعرفة، فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا الذي قاله ابن خفيف صحيح، صحيح أيضاً قاله أهل العلم، من زعم أنه بعلمه، أو بدرجة من العلم، أو بمنزلة من العلم، أو بوصف يتصف به من العلم يخرج عن التكليف ويبقى حراً له أن يفعل ما يشاء، لا يصلي ولا يصوم، وله أن يزني، وله أن يفعل كل شيء؛ فهذا ملحد في الدين، زنديق كافر بالله بإجماع المسلمين، نعوذ بالله، لأن المؤمن ليس لعمله أجل إلا الموت، إلا إذا اختل عقله، قال الله تعالى للنبي ﷺ - وهو

أفضل الخلق ـ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، فلابد من العمل حتى يأتي الموت، ولا يسقط التكليف عن أحد من الناس لأنه بلغ من العلم كذا أومن العبادة كذا أومن العمر كذا، لا، إلا إذا سقط التكليف، إذا جن أو خرف، تغيّر عقله، سقط التكليف حينئذ، وأما أنه في منزلة من العلم، كما يقول بعض الصوفية أنه تسقط عنه التكاليف فلهم أن يفعلوا ما يشاءون من المعاصي، ولهم أن يدعوا الصلوات والصيام، هذا جنون. هذا بلاء، هذا من الكفر البواح نعوذ بالله.

ومن زعم الإشراف على الخلق، يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند الله ـ بغير الوحي المنزل من قول رسول الله ﷺ ـ فهو خارج عن الملة، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم، وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم ـ بغير الوحي من قول الله وقول رسوله ـ فقد باء بغضب من الله.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا حق مثل ما قال المؤلف، من زعم أنه يشرف على أمور الخلق ومقاماتهم، ويعرف منازلهم عند الله بغير الوحي، هذا ضال مضل كافر ملحد مدع علم الغيب، هكذا من يزعم أنه يعلم أمور الناس، ومتى يموتون، ومتى يبعثون، كل هذا ردة عن الإسلام، لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، ويقول جل وعلا لنبيه: ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ثم قال: ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فمن زعم أن له إشرافاً على الخلق، وأنه موكل بالخلق، وأنه يعلم أحوالهم وأوقات موتهم ونهاية آجالهم، وأنه يعلم مصيرهم عند الله ومنازلهم؛ فهذا إما مجنون من المجانين والمعاتيه، وإما زنديق مرتد كافر، نسأل الله العافية.

هذه غرائب عند جمع من الصوفية، يقعون في هذه البلاوي والمحن نسأل الله العافية، ومن كان يدعي الإسلام فهو مرتد.

والفراسة حق على أصول ما ذكرناه، وليس ذلك مما رسمناه في شيء، ومن زعم أن صفاته تعالى بصفاته.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: هي عبارة مجملة، كأنه يشير بهذا أن صفاته كصفاته، يعني كصفات المخلوقين، أو أنها متصفة بصفات المخلوقين، يعني أن الخالق حل في المخلوق، هذا لا شك أنه إلحاد وزندقة نعوذ بالله، ولكن العبارة فيها بعض القلق.

المقصود من هذا كله بيان أن صفات الرب غير صفات المخلوقين، وأن الله سبحانه في صفاته بائن من خلقه، مستقل عن خلقه، فوق عرشه، فوق جميع الخلق، لا تشبه صفاته صفات خلقه، بل هو سبحانه الكامل في ذاته وفي جميع صفاته، منزه عن مشابهة المخلوق في كل شيء، كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وإنما ذكرت الإشارة في بعض الأحاديث للصفة من باب التحقيق، كما ذكر عند «يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع» ويشير إلى أصابعه[1] يعني من باب التحقيق أنها أصابع حقيقية، وهكذا إلى العين وإلى السمع[2] والمراد إثبات أنه حق وأنه سمع حقيقة وبصر حقيقة وإصبع حقيقة ويد حقيقة، وليس المراد التشبيه والتمثيل.

---

(١) رواه البخاري (٤٨١١) كتاب التفسير/ باب قوله (وما قدروا الله حق قدره) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أبو داود (٤٥٦٤) كتاب السنة/ باب في الرؤية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويشير في ذلك إلى غير آية العظمة والتوفيق والهداية - وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة؛ فهو حلولي قائل باللاهوتية والالتحام، وذلك كفر لا محالة.

ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة، ومن قال إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول النصارى - النسطورية - في المسيح، وذلك كفر بالله العظيم.

قال سماحة الشيخ ﷺ: وذلك لأن الأرواح جملة من خلق الله خلقها سبحانه ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، فأرواح الحيوانات وأرواح بني آدم وأرواح الجن، جميع الأرواح كلها مخلوقة لله مربوبة، تنعّم وتعذب، يصيبها ما يصيب غيرها، والله خالقها سبحانه وتعالى، أرواح الأخيار وأرواح الأشرار، أرواح العقلاء وأرواح البهائم، كلها مخلوقة له سبحانه وتعالى.

ومن قال إن شيئاً من صفات الله حال في العبد، أو قال بالتبعيض على الله فقد كفر.

قال سماحة الشيخ ﷺ: ليس في المخلوقات شيء من ذات الله، بل الله سبحانه بجميع صفاته مستقل بائن من خلقه جل وعلا، ليس في ذاته شيء من خلقه، وليس في خلقه شيء من ذاته جل وعلا، ولهذا قال عبد الله ابن المبارك: «نعرف ربنا بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه» سبحانه وتعالى(١).

والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولا حال في مخلوق، وأنه كيفما تلي وقريء وحفظ فهو صفة الله عز وجل، وليس الدرس من المدروس

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١١١)، وابن بطة في الإبانة (١١٢).

ولا التلاوة من المتلو، لأنه عز وجل بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق، ومن قال بغير ذلك فهو كافر.

قال سماحة الشيخ ﵀: يعني أن القرآن هو كلام الله وإن كان في الصدور، حالاً في الصدور من جهة الحفظ، فليس هو كلام المخلوقين، فإن المخلوق ينقل ويتلوه على أنه كلام الله، يحفظه على أنه كلام الله، يكتبه على أنه كلام الله، يسمعه على أنه كلام الله، فكيفما تصرف فهو كلام الله عز وجل، مقروءاً محفوظاً مكتوباً مسموعاً هو كلام الله في جميع النواحي، أنزله على نبيه ﷺ.

ونعتقد أن القراءة الملحنة بدعة وضلالة، وأن القصائد بدعة، ومجراها على قسمين: فالحسن من ذلك من ذكر آلاء الله ونعمائه وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين، فذلك جائز، وتركه والاشتغال بذكر الله والقرآن والعلم أولى به، وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على الله كفر، واستماع الغناء والربعيات على الله كفر، والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب.

وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات الملحنة ـ الجائي بين أهل الأطباع ـ على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد، ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى الله تعالى من ذلك، وما لا يليق به عز وجل مما هو منزه عنه، فيكون استماعه كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ الآية [الزمر: ١٨].

وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله على غير تفصيله فهو

كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى الله فغير جائز، إلا لمن عُرف بما وصفت من ذكر الله ونعمائه، وما هو موصوف به عز وجل مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف، بل ترك ذلك أولى وأحوط، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة فيها غير مأمونة على استماع الغناء، و«الربعيات» بدعة، وذلك مما أنكره المطلبي.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني الشافعي رحمه الله لأنه من آل المطلب.

وهذه العبارات فيها بعض الإجمالات ،ومراده التلحين في القرآن والتمغيط والزيادة في الكلام، لا يجوز لأنه يخرج القرآن عن موضعه. وإنما المشروع الترتيل والعناية بإعطاء الحروف حقها، أما التلحين الذي يحيل القرآن عن وضعه بالزيادات الكثيرة أو تشبيهه بالأغاني وتضييع أوقات الناس في غير طائل؛ هذا ممنوع.

كذلك ما يتعلق بالتعبد في الأغاني وما أحدثه الصوفية من ربعيات في أشعارهم وغير ذلك؛ إن كان ذلك على وجه التعبد ذكرها المؤلف رحمه الله أنه كفر، لأنه استحلال لما حرم الله من البدع المنكرة التي أجمع العلماء على إنكارها، وكل من استحل ما حرم الله مما أجمع عليه المسلمون، كاستحلال الزنا أو الخمر يكون كفراً أكبر، نسأل الله العافية.

والتعبد بهذه البدع من البدع أيضاً، التعبد بالرقصات والأغاني في مدح فلان وفلان، مدح النساء أو غير ذلك، هذا أيضاً من البدع، وهو من المنكر.

أما الأشعار التي في مدح الخير والدعوة إلى الخير على لحون العرب وطريقة العرب؛ هذا لا بأس به، كما أنشد حسان للرسول ﷺ في هجو المشركين، وكما أنشده كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، فالأشعار التي هي بعيدة عن الشر لا بأس بها، فالشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح.

ومراده بهذا التفصيل في هذه الأمور ـ وإن كانت عبارته فيها بعض الإجمال ـ لكن مراده التفصيل في هذه الأمور رحمه الله.

الربعيات على نمط أربعة فواصل، رباعية يعني ما هي بثنائية ولا ثلاثية، كأنها أربعة، يعني كل شطر مستقل حتى تليق بالبيت على أربعة أقسام، كأنه يريد هذا والله أعلم.

سؤال/ الاستشهاد بالشعر في الخطبة؟

أجاب سماحته: ما فيه مانع، إذا كان شعراً شرعياً وسليماً فلا شيء فيه «إن من الشعر لحكمة»(١).

سؤال/ اللحن في الأذان؟

أجاب سماحته: ما ينبغي، ينبغي أن يكون سمحاً في الأذان لا يطول ولا يمغّط.

سؤال/ استشهاد بعض النحاة بأبيات رديئة؟

أجاب سماحته: إذا كان عن العرب ومقصوده النحو فقط لا يضر من باب الفائدة، من جهة القواعد العربية، مع التنبيه على ما فيها من الخطأ.

ومالك والثوري ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل وإسحاق، والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين.

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث: إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له القصائد. قال: مثل أيش؟ قال: مثل قوله:

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٤٤) كتاب الأدب/ باب ما جاء إن من الشعر حكمة، من حديث ابن مسعود ﷺ وقال الترمذي: هذا حديث غريب، ومن حديث ابن عباس «إن من الشعر حِكَماً» وقال: حديث حسن صحيح.

اصبري يا نفس حتى ... تسكني دار الجليل...

فقال: حسن، وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك؟ قال: قلت ببغداد، فقال: كذبوا والله الذي لا إله غيره، لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك.

قال أبو عبد الله: ومما نقول - وهو قول أئمتنا - إن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكفف إلى وقت يفتح الله له كان أعلى، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله» الحديث[1] ونقول: إن ترك المكاسب غير جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء عما في أيدي الناس، ومن جعل السؤال حرفة - وهو صحيح - فهو مذموم في الحقيقة خارج.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا هو الحق، فإن المؤمن مأمور بالعمل والكسب، مثل ما قال النبي ﷺ «احرص على ما ينفعك واستعن بالله»[2] «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه؛ خير له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه»[3].

(١) رواه البخاري (١٤٧١) كتاب الزكاة/ باب الاستعفاف عن المسألة من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه ومسلم (١٤٠٢) كتاب الزكاة/ باب النهي عن المسألة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر/ باب الإيمان للقدر والإذعان له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (١٤٧١) كتاب الزكاة/ باب الاستعفاف عن المسألة من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه ومسلم (١٤٠٢) كتاب الزكاة/ باب النهي عن المسألة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولما سئل أي الكسب أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»(١) وقال: «ما أكل أحد طعاماً أفضل من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» رواه البخاري(٢).

فلا ينبغي له ترك العمل، بل ينبغي له أن يتسبب ويعمل ولا يسأل الناس، لأن سؤال الناس مذموم إلا عند الضرورة، وإذا تعفف وصبر على القليل ولم يسأل الناس كان أفضل، إلا أن تدعو الضرورة إلى ذلك، ولهذا من حديث سمرة: «المسألة كد يكد بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطاناً أو في أمر لابد منه» خرجه الترمذي وصححه الجماعة(٣).

فالحاصل أنه ينبغي له العمل والكسب وطلب الحلال، حتى يستغني عن الناس، فإذا اضطر إلى السؤال فلا بأس بقدر الحاجة.

ونقول: إن المستمع إلى الغناء والملاهي، فإن ذلك كما قال عليه السلام: «الغناء ينبت النفاق في القلب»(٤) وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى بهذا أن في استماع الأغاني وآلات الملاهي من الفسق من المعاصي ومن أسباب مرض القلب والنفاق.

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٤١ من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

(٢) (٢٠٧٢) كتاب البيوع/ باب كسب الرجل وعمله بيده، من حديث المقدام بن معدى كرب رضي الله عنه.

(٣) الترمذي (٦٨١)كتاب الزكاة/ باب ما جاء في النهي عن المسألة، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه أبو داود (٤٩٢٧) كتاب الآداب/ باب كراهية الغناء والزمر، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وانظر ضعيف الجامع (٣٩٤١).

وأما نسبة هذا إلى النبي ﷺ فهذا وهم، المعروف أنه من كلام ابن مسعود ﷺ، ولكن المؤلف كأنه غفل عن ذلك، ولهذا نسبه إلى النبي ﷺ، والمعروف أنه من كلام ابن مسعود: «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[1] المعاصي بريد الكفر، مثل ما أن المرض بريد الموت، قد تجره المعاصي إلى الوقوع في الكفر، نعوذ بالله، ومنها الغناء والملاهي، قد يستلذها حتى توقعه في الكفر نسأل الله العافية.

سها المؤلف الشيخ تقي الدين رحمه الله، هذا الأثر إنما يعرف عن ابن مسعود ﷺ أنه موقوف، يحتمل أن المؤلف حين كتبها أراد أن يكتب شيئاً ولم يكتب رحمه الله، نسيه، لأنه أطال النقل، أو يأتي شيء في الآخر.

سؤال/ استماع الأغاني محرم؟

أجاب سماحته: نعم، الأغاني والملاهي من أقبح السيئات ومن وسائل الشر.

والذي نختار قول أئمتنا: إن ترك المراء في الدين، والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، ومن زعم أن الرسول ﷺ واسط يؤدى.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: الصواب: واسطة يؤدي، يعني مهمته أنه يؤدي فقط، لا فضل له عليهم.

وأن المرسل إليهم أفضل؛ فهو كافر بالله.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا لا شك أنه تنقص ظاهر، الذي يقول إن المرسَل إليهم أفضل من الرسول؛ هذا كلام لا يقوله عاقل، وما سمعنا ولا بلغنا عن أحد أنه قال هذا، لعله قاله بعض الصوفية.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٢٣ و في شعب الإيمان ٤/ ٢٧٨.

ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر. اهـ.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا واضح أن الإنسان يأخذ دينه عن رأيه وعن قلبه، هذا ردة عن الإسلام، فلا دين إلا ما جاء عن الله وعن رسوله، نسأل الله السلامة، حدثني قلبي عن ربي، هذا من خرافاتهم.

ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد «عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني» قال في كتاب «الغنية»: أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد. إلى أن قال:

وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتوٍ على الملك، محيط علمه بالأشياء.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا علم عظيم وفقه عظيم، فرق بين هذا وهذا، فهو مستو على العرش ومحيط بكل شيء، محتو على كل شيء، يعني هو مالك كل شيء، والاستواء غير الاستيلاء وغير الملك، فبيّن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا، وأن الاستواء غير الاستيلاء وغير الملك وغير إحاطة العلم، وهذا هو الحق، استوى على العرش يعني علا فوق العرش وارتفع فوق العرش سبحانه وتعالى، على وجه يليق بجلاله، لا يشابه خلقه في استوائهم، وهو غير الاستيلاء وغير الملك وغير الإحاطة بالعلم، فعلمه محيط بكل شيء.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وذكر

آيات وأحاديث إلى أن قال: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، قال: وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف، وذكر كلاماً طويلاً لا يحتمله هذا الموضع، وذكر في سائر الصفات نحو هذا.

ولو ذكرت ما قاله العلماء في هذا لطال الكتاب جداً.

قال «أبو عمر بن عبد البر»:

> **قال سماحة الشيخ** رحمه الله: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر رحمه الله، عُمِّر ستاً وتسعين عاماً، ولد سنة ٣٦٧ ومات سنة ٤٦٣ وكانت المدة ستاً وتسعين، رحمه الله، عمِّر وصنّف وألّف الكتب العظيمة رحمه الله.

روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والأوزاعي ومعمر بن راشد «في أحاديث الصفات» أنهم كلهم قالوا: أمرّوها كما جاءت، قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات، أو جاء عن أصحابه رضي الله عنهم فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة.

وقال في «شرح الموطأ» لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث ثابت النقل صحيح من جهة الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو منقول من طرق ـ سوى هذه ـ من أخبار العدول عن النبي ﷺ، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش استوى من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة.

قال: والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول الله ـ وذكر بعض

الآيات - إلى أن قال: وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثرَ من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: **يعني ما قال لهم هذا** وهذا، بل عرفوه بالفطرة.

ولا أنكره عليهم مسلم.

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضاً: أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله.

وقال أبو عمر أيضاً: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: كلامه رحمه الله كله كلام عظيم، كلام رزين قوي موافق للحق، رحمه الله.

وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج؛ فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبِّه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهم أئمة الجماعة.

هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب.

وفي عصره الحافظ «أبو بكر البيهقي».

قال سماحة الشيخ ﷺ: كلاهما في القرن الخامس رحمهما الله، وأخذا بعضاً من القرن الرابع.

مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم، قال في كتابه «الأسماء والصفات»:

قال سماحة الشيخ ﷺ: وبسبب ميله إلى الأشعريين حصل له من الأغلاط ما حصل.

ابن عبد البر بهذا أعلم منه بمذهب أهل السنة وأسلم منه وأعلم وأكبر شأناً، والبيهقي رحمه الله له علم وله حفظ وله دراية عظيمة، ولكنه وقعت له أغلاط في التأويل بسبب توليه الأشعريين من أصحاب أبي الحسن الأشعري.

(باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين ـ لا من حيث الجارحة ـ.

قال سماحة الشيخ ﷺ: هذه الزيادة مما دخلت عليه أيضاً، هذا ما جاء في النصوص لا نفيها ولا إثباتها، إثبات اليدين وإثبات الصفات من غير نفي ولا إثبات جارحة.

لورود خبر الصادق به، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، وقال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب، مثل قوله في غير حديث، في حديث الشفاعة: «يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده»(١) ومثل قوله

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٦) كتاب التوحيد/ باب ما جاء في قوله عز وجل: (وكلم الله موسى تكليماً) ومسلم (٣٢٧) كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

في الحديث المتفق عليه: «أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك الألواح بيده»[١] وفى لفظ: «وكتب لك التوراة بيده»[٢] ومثل ما في صحيح مسلم «أنه سبحانه غرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده»[٣] ومثل قوله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها بيده كما يكتفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة»[٤].

وذكر أحاديث مثل قوله: «بيدي الأمر»[٥] «والخير في يديك»[٦] «والذي نفس محمد بيده»[٧] و«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»[٨] وقوله: «المقسطون عند

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٤) كتاب القدر/ باب تحاج آدم وموسى عند الله، ومسلم (١٣ـ١٥) كتاب القدر/ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٢) رواه مسلم في المصدر السابق.

(٣) رواه مسلم (٣١٢) كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٤) رواه البخاري (٦٥٢٠) كتاب الرقاق/ باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ومسلم (٣٠) كتاب المنافقين/ باب نزل أهل الجنة.

(٥) رواه البخاري (٤٨٢٦) تفسير سورة الجاثية.

(٦) رواه البخاري (٣٣٤٨) كتاب الأنبياء/ باب قصة يأجوج ومأجوج، ومسلم (٣٧٩) كتاب الإيمان/ باب قوله: «يقول الله لآدم أخرج بعث النار».

(٧) رواه البخاري (٦٦٣٠) كتاب الأيمان/ باب كيف كان يمين النبي ﷺ، ومسلم (٧٥) كتاب الفتن/ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر أخيه فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٨) رواه مسلم (٣١) كتاب التوبة/ باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»[1] وقوله: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[2].

وقوله: «يمين الله ملآى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»[3] وكل هذه الأحاديث في الصحاح.

وذكر أيضاً قوله: «إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة»[4] وحديث «إن الله لما خلق آدم مسح على ظهره بيده»[5] إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.

ثم قال «البيهقي»: أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب.

---

(١) رواه مسلم (١٨) كتاب الإمارة/ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر.

(٢) رواه مسلم (٢٤) كتاب المنافقين/ باب صفة الجنة والنار.

(٣) رواه البخاري (٤٦٨٤) تفسير سورة هود/ باب (وكان عرشه على الماء) ومسلم (٣٧) كتاب الزكاة/ باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٤) رواه الترمذي (٣٣٦٨) كتاب التفسر/ باب.

(٥) رواه أبو داود (٤٧٠٣) كتاب السنة/ باب في القدر، والترمذي (٣٠٧٥)تفسير سورة الأعراف.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: لم يفسروا: يعني لم يتأولوها، بل أمرّوها كما جاءت من غير تأويل، مع الإيمان بها وأنها حق، صفات لله جل وعلا بلا كيف، كما قالوا في الاستواء وقالوا في غير ذلك، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، خلافاً للمتكلمين المتأولين.

البيهقي وقع له أشياء من التأويل تبع فيها الأشاعرة وغلط فيها* رحمه الله، والذي عليه أهل السنة والجماعة هو ترك التأويل، والإيمان بجميع الصفات والأسماء الثابتة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، إيماناً ليس معه تأويل، بل يمرونها كما جاءت بلا كيف، مع الإيمان بمعناها، وأنها حق، وأنها صفات لله لائقة بالله سبحانه وتعالى، يد حقيقة، قدم حقيقة، سمع حقيقة، إلى غير ذلك، لكن لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] سبحانه وتعالى.

سؤال/ أين وقع للبيهقي بعض الأخطاء؟

أجاب سماحته: في كتاب الاعتقاد وفي غيره، رحمه الله.

وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية، مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

وقال القاضي «أبو يعلى» في كتاب «إبطال التأويل»: لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.

وذكر بعض كلام الزهري ومكحول ومالك والثوري والأوزاعي والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي والأسود بن سالم وإسحاق بن

راهوية وأبي عبيد ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب، وفي حكاية ألفاظهم طول.

إلى أن قال: ويدل على إبطال التأويل؛ أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه، لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة.

وقال أبو الحسن «علي بن إسماعيل الأشعري» المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في «اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين» وذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة، قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاء عن الله تعالى، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردون شيئاً من ذلك وأن الله واحد أحد فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة

والخوارج، وأقروا أن لله علماً كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وكما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، وأثبتوا له السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وذكر مذهبهم في القدر . إلى أن قال:

ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني من أجل الإيهام، والتوقف من كلام أهل البدع، والقرآن كلام الله وغير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وقول السلف: لا يقال لفظي بالقرآن مخلوق، ولا اللفظ غير مخلوق، لأن فيه إجمالاً، فإن أراد باللفظ الصوت فهو مخلوق، وإن أراد باللفظ الملفوظ به وهو القرآن فهو غير مخلوق، هو كلام الله عز وجل، فلهذا أنكروا هذا، وهذا لئلا يُتخذ وسيلة على رأي الجهمية والمعتزلة.

ويقرّون أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محجوبون، قال عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء. إلى أن قال:

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار. إلى أن قال:

وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر

فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون الروايات الصحيحة كما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، لا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة عندهم. إلى أن قال:

ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، إلى أن قال:

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الآثار، والنظر في الفقه، مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق، مع بذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والشكاية وتفقد المآكل والمشارب.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني عن الحرام، يعني يتحرزون من الحرام ويجتهدون في طلب الحلال، هكذا قول أهل السنة والجماعة، يتركون الجدل والمراء إلا بحق كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال: فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون إليه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو المستعان.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وقد أحسن في ذلك رحمه الله.

وقال الأشعري أيضاً في «اختلاف أهل القبلة في العرش» فقال: قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن الله ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنه

استوى على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولا نتقدم بين يدي الله في القول، بل نقول استوى بلا كيف، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأن له يدين كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] وأن له عينين كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

قال سماحة الشيخ ﷺ: وفي كتابه العظيم ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]، وجاء في السنة ما يبين ذلك، قال: «إن الدجال أعور وإن ربكم ليس بأعور» كما جاء في الصحيحين. هذا إثبات للعينين وأنهما عينان سليمتان. ليس كالدجال.

وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه في الكتاب، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ.

وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش بمعنى استولى، وذكر مقالات أخرى.

قال سماحة الشيخ ﷺ: وما تقدم نقله عن أهل السنة والحديث أنه ليس بجسم؛ محل نظر، وقد أنكره أبو العباس في كتابه «التدمرية» وفي مواضع أخرى، وبيّن أن أهل السنة والجماعة لا ينفون الجسم ولا يثبتونه لعدم وروده، فلا يقال هو جسم ولا ليس بجسم، لأن هذه الكلمة محتملة، فيها إجمال، وإنما يقولون ما جاءت به النصوص، فيقولون ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

ﭐسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣]، وهكذا ما جاءت به النصوص، أما هو جسم أو ليس بجسم فهذا لم ترد به النصوص، فلا يجوز نفيه ولا إثباته، ومرادهم أن الذات ليست بجسم، يعني كالأجسام ،، كما أن له ذاتاً لكن ليست مثل الذوات، بل هو ذات حقيقة وسمع حقيقة وبصر حقيقة، ولكن ليس مثل ذوات المخلوقين.

وأما نفي الجسم وإثبات الجسم فلم ترد به النصوص، ومن أثبته وقال هو جسم لا كالأجسام له سمع وبصر ونحو ذلك فهو حقيقة، ومن نفاه وأنه ليس له ذات؛ فهذا كفر وضلال إذا أراد به هذا المعنى، فلهذا؛ الصواب أنه لا يُنفى ولا يثبت، لا يقال ليس بجسم ولا هو جسم، لعدم وروده في الأدلة، لأن الأدلة لم ترد بهذا اللفظ، ولم ينطق به الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، بل يُنطق بما جاء في النصوص ويُكتفى بذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقد جاء في الحديث الصحيح: «وذلك في ذات الإله» في حديث شعر خبيب[1] وجاء في حديث «كذبات إبراهيم كلهن في ذات الله»[2].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٢) كتاب التوحيد/ باب ما يذكر في الذات والنعوت، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٧-٣٣٥٨) كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٣٥] ومسلم (٢٣٧١) كتاب الفضائل/ باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

فله ذات لا تشبه الذوات سبحانه وتعالى، ذات موصوفة بالسمع والبصر والوجه واليد وغير ذلك، على الوجه اللائق بالله سبحانه وتعالى.

وقال أيضا أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه «الإبانة في أصول الديانة» وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه ـ فقال ـ:

(فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة) فإن قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة؛ فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدّم، وجليل معظّم، وكبير مُفهَّم.

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً، وذكر نحواً مما ذكر في الفرق إلى أن قال:

ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً، وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، وأنه عز وجل يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني يوم القيامة «والماء والثرى على إصبع، والشجر والجبال على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول:أنا الملك أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون» كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه(١).

إلى أن قال: وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا قول أهل السنة والجماعة، الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، يزداد بالطاعات والذكر وينقص بالمعصية والغفلة، وهذا يرد به

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه.

على المعتزلة والجهمية والخوارج الذين يقولون لا يزيد ولا ينقص، ويقول بعضهم ـ كالجهمية ـ أنه مجرد المعرفة.

فأهل السنة والجماعة وسط بين هذه الطوائف الضالة، فهم يقولون إن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وأما قول الخوارج إنه لا يزيد ولا ينقص، وإن من عصى كفر، فهم ضالون بهذا القول، وهكذا المعتزلة، نسأل الله العافية.

ونسلّم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ، التي رواها الثقات عدلاً عن عدل، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ. إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: «هل من سائل؟ هل من مستغفر» وسائر ما نقولوه وأثبتوه، خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل.

ونعوّل فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وإن الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨ - ٩].

قال سماحة الشيخ رحمه الله: الآية هذه، الصواب فيها أنه جبرائيل، الآية الأخيرة في آية النجم الصواب فيها أنه جبرائيل عليه الصلاة والسلام.

إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره باباً باباً.

ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني يرى في الآخرة يوم القيامة وفي الجنة.

ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق، ورد عليه. ثم قال:.

(باب ذكر الاستواء على العرش)

فقال: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

وقال تعالى حكاية من فرعون ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]، كذّب موسى في قوله إن الله فوق السموات، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] لأنه مستو على العرش الذي هو فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السموات، وليس إذا

قال ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، ولم يرد أن القمر يملؤهن وأنه فيهن جميعاً.

ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله على عرشه الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا يبين لنا إن الله في السماء، يعني على السماء، فإن «في» المؤلف يشير إلى أن المراد بالسماء العلو، جنس العلو، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، فالعرش فوق السماوات، ويقول ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] يعني في العلو، ومن العلو العرش، فهو من العلو.

والمعنى الثاني أن «في» بمعنى «على» إذا أريد بالسماء السماء المبنية القائمة، يعني من على السماء، كما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]، يعني على الأرض ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، يعني على جذوع النخل، والآية فسرت بهذا وهذا، فإذا فسرت «في» بمعنى «على» فالمراد أنه فوق السماوات، فوق العرش جل وعلا، وإذا فسرت السماء بمعنى العلو، فهي على أصلها ظرفية ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، يعني في العلو، والله جل وعلا فوق العرش، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي جاءت به الرسل، وهو قول أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان، أن الله في السماء، في العلو،

فوق العرش، فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، وهكذا أخبر الله عن موسى إذ هو بلّغ فرعون وغيره أن الله في السماء، ولهذا قال فرعون: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، هذا يبيّن أن موسى بيّن له أنه في العلو وأن الله فوق. فلهذا قال الخبيث ما قال، فالرسل جاءوا بأن الله في السماء وفي العلو، وهو يدعى من أعلى، وترتفع الأيدي إليه سبحانه وتعالى طلباً لمغفرته والعفو وللحاجات التي يطلبها الإنسان.

وهكذا قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [غافر: ١٠]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٤]، كل هذا يدل على العلو.

ثم قال:

(فصـــــل)

وقد قال القائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن معنى قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، أنه استولى وقهر وملك، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء، والأرض، فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء - وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها - لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها.

وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش، دون الأشياء كلها.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا قول أهل الحق، وأن قول من قال: استولى على العرش أو قهر عليه أو غلب عليه؛ قول باطل، لأنه مستول على كل شيء، وهو بيده كل شيء سبحانه وتعالى، وإنما هذا صفة علو، صفة خاصة للعرش، وهو العلو فوقه والاستواء عليه من الله سبحانه وتعالى.

وذكر دلالات من القرآن والحديث والإجماع والعقل.

ثم قال:

(باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين)

وذكر الآيات في ذلك، ورد على المتأولين لها بكلام طويل لا يتسع هذا الموضع لحكايته، مثل قوله: فإن سئلنا أتقولون لله يدان؟ قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته»(١). وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده(٢) وقد جاء في الخبر المذكور عن النبي ﷺ: «أن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى

---

(١) رواه أحمد ١/ ٤٤ والترمذي (٣٠٧٥).

(٢) رواهما مسلم وتقدم.

بيده»[1] وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا بيديّ ويريد بها النعمة، وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها، ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل البيان أن يقول القائل: فعلت كذا بيديّ ويعنى بها النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، النعمة.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني رد على أهل التأويل من أهل الكلام الذين يأوّلون اليد بالقدرة أو بالنعمة، وأن هذا باطل غير معروف عند العرب، إذا قالت العرب: فعلت بيدي هذا؛ تريد أنها باشرت الأشياء، فالله خاطب العرب بما يعقلون ويفهمون، فلهذا قال سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، إلى غير هذا من النصوص الدالة على إثبات اليدين له سبحانه على الوجه اللائق به، من غير مشابهة لخلقه سبحانه وتعالى، هكذا بقية الصفات ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، «إن الله يرضى عن العبد» إلى غير هذا، كل هذا طريقة معروفة، وهو إمرارها كما جاءت، مع الإيمان بأنها حق، وأنها أوصاف لله تليق به سبحانه، لا يشابه فيها خلقه جل وعلا.

وذكر كلاماً طويلاً في تقرير هذا ونحوه.

وقال القاضي أبو بكر «محمد بن الطيب الباقلاني».

قال سماحة الشيخ رحمه الله: مات سنة ٤٠٣ هـ في أول القرن الخامس.

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٦/ ٢.

المتكلم ـ وهو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده ـ قال في كتاب «الإبانة» ـ تصنيفِه ـ: فإن قال قائل: فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قيل له قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فأثبت لنفسه وجهاً ويداً.

فإن قال: فلم أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة إن كنتم لا تعقلون وجهاً ويداً إلا جارحة؟

قلنا: لا يجب هذا، كما لا يجب إذا لم نعقل حياً عالماً قادراً إلا جسماً أن نقضي نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وتعالى، وكما لا يجب في كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهراً؛ لأنا وإياكم لم نجد قائماً بنفسه في شاهدنا إلا كذلك، وكذلك الجواب لهم إن قالوا: يجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفات ذاته عرضاً، واعتلّوا بالوجود.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى في هذا أن صفاته كلها جل وعلا يباين فيها المخلوقين، فلا يلزم من إثباتها أن يكون مشابهاً للمخلوقين، فكما لا يلزم في ذاته ولا في سمعه ولا في بصره؛ فكذلك لا يلزم في يده ولا في إصبعه ولا في قدمه ولا في سائر صفاته، كلها بابها واحد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، الباب واحد، يجب أن تمر كلها كما جاءت، مع

الإيمان القاطع الجازم بأنها تليق به سبحانه، وأنه لا يشابه فيها خلقه.

هكذا قال أهل السنة والجماعة في جميع أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

وقال: فإن قال: فهل تقولون إنه في كل مكان؟

قيل له: معاذ الله، بل مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، قال: ولو كان في كل مكان لكان في بطن الإنسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها، ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة إذا خلق منها ما لم يكن، وينقص بنقصانها إذا بطل منها ما كان، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض، وإلى خلفنا وإلى يميننا وإلى شمالنا، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله.

وقال أيضاً في هذا الكتاب: صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها: هي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا.

وقال في «كتاب التمهيد» كلاماً أكثر من هذا ـ لكن ليست النسخة حاضرة عندي ـ وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في مثل هذا الباب كثير لمن يطلبه، وإن كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام.

قال سماحة الشيخ ﷺ: وهذا هو الحقيقة، وإنما يذكر كلامهم للرد على الخصوم، وإلا فالمسلمون وأهل السنة مستغنون بكلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام أصحاب النبي ﷺ عن كل كلام، ولكن يذكر كلام أهل العلم من باب الاستشهاد والرد على الخصوم، وأن هؤلاء العلماء تلقوا نصوص الكتاب والسنة كما جاءت، وآمنوا بها وصدّقوا بها وانقادوا لها، وهم حجة على من سواهم.

«وملاك الأمر» أن يهب الله للعبد حكمة وإيماناً بحيث يكون له عقل ودين، حتى يفهم ويدين، ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء، ولكن كثيراً من الناس قد صار منتسباً إلى بعض طوائف المتكلمين، ومحسناً للظن بهم دون غيرهم، ومتوهماً أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم، فلو أتي بكل آية ما تبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم.

قال سماحة الشيخ ﷺ: يعني هذا واقع، كثير من الناس ـ لتقليده وعماه ـ لو أتي بكل شيء لا يؤمن، حتى إذا جيء بشيء من كلام أئمته قنع بذلك وقبل. فلهذا ينقل كلام أهل العلم من المقلَّدين حتى ينقادوا للحق الذي دلت عليه الآيات والأحاديث النبوية، لا لأنه حجة في كلام المنقول عنهم من العلماء المتأخرين. لا، ولكن لأجل إقناع غيرهم، ودعوة غيرهم إلى الحق الذي دل عليه كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثم هم مع هذا مخالفون لأسلافهم غير متبعين لهم، فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام أسلافهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى، ومن كان لا يقبل الحق إلا من طائفة معينة؛ ثم لا يتمسك بما جاءت به من الحق؛ ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

> **قال سماحة الشيخ** ﷺ: يعني وقد حرم عليهم ذلك فيما أنزل عليهم، فخالفوا.

فإن اليهود قالوا: لا نؤمن إلا بما أنزل علينا، قال الله تعالى لهم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، أي إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، يقول سبحانه وتعالى لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون، ولا لما جاءتكم به سائر الأنبياء تتبعون، لكن إنما تتبعون أهواءكم، فهذا حال من لم يقبل الحق، لا من طائفته ولا من غيرها، مع كونه يتعصب لطائفته بلا برهان من الله ولا بيان.

وكذلك قال «أبو المعالي الجويني» في كتابه «الرسالة النظامية» اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب. فقال: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة؛ اتباع سلف الأمة، والدليل السمعي القاطع في ذلك إجماع الأمة، وهو حجة متّبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب رسول الله ﷺ على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها ـ وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها ـ فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً

أو محتوماً؛ لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل؛ كان ذلك هو الوجه المتبع، فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكل معناها إلى الرب تعالى، فليجر آية الاستواء.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: المفرد المضاف يعم.

والمجيء، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا الذي قاله أبو المعالي هو الحق، وأن أهل السنة والجماعة ـ وهم السلف الصالح ـ مشوا على هذا، وتركوا التأويل الذي خاضته الجهمية وأشباههم.

وقوله: نفوّض المعنى، يعني الكيفية، فالمعنى يعني معنى الكيفية، أما المعاني معلومة، فليس مراده رأي المفوضة الذين هم شر من الجهمية، الذين يقولون إن الله خاطب الناس بما لا يفهمونه ولا يعقلون، لا، المراد بأن نفوّض المعنى من جهة الكيف، كما قال مالك وغيره ـ مثل ابن المبارك وسفيان وغيرهم ـ أمرّوها بلا كيف، يعني آمنوا بها وأمرّوها من دون أن تكيّفوا الصفات. فالمعنى معروف، فالاستواء معروف معناه، العلم معروف، الضحك معروف، اليد معروف، القدم معروف، السمع معروف، لكن ليس مثل صفات المخلوقين.

سؤال/ أبو المعالي هل وقع في التأويل؟

أجاب سماحته: يمكن في بعض الكتب الأخرى، وكلامه هنا طيّب، كلامه في هذه الرسالة النظامية طيّب، وإذا أخطأ هو أو غيره في بعض المسائل يؤخذ الصواب ويترك الخطأ.

قلت:

قال سماحة الشيخ ﵀: قلت: هذا من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

وليعلم السائل أن الغرض «من هذا الجواب» ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نقلوا مذهب السلف في هذا الباب، وليس كل من ذكرنا شيئاً من قوله ـ من المتكلمين وغيرهم ـ يقول بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به.

قال سماحة الشيخ ﵀: والمعنى في هذا: يعني لا تظن أن ماذكرناه ممن نقلنا عنهم أنهم موافقون لنا في كل شيء، ولكن ننقل عنهم ما أصابوا فيه الحق وما وافقوا فيه الحق، وإذا وجد لفلان أو فلان أو فلان أغلاط فهي ترد عليهم كما ترد على غيرهم، فينبغي لمن نقل عن الشخص كلاماً حقاً أن يعرف أنه إذا قال قولاً آخر باطلاً فالباطل يُرَدّ، ويقبل الحق ممن جاء به، ويرد الباطل على من جاء به، هذا هو المقصود، سواء كان كبيراً أو متوسطاً أو صغيراً، ما قاله من الحق قبل على العين والرأس لأنه حق، وما قاله من الباطل رد لأنه باطل، وإن كان من قاله عظيماً، فالحق فوق ذلك وأعظم.

وكان معاذ بن جبل يقول في كلامه المشهور عنه؛ الذي رواه أبو داود في سننه: اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً ـ أو قال فاجراً ـ واحذروا زيغة الحكيم. قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟

قال: إن على الحق نوراً. أو قال كلاماً هذا معناه[1] .

فأما تقرير ذلك بالدليل، وإماطة ما يعرض من الشبه، وتحقيق الأمر على وجه يخلص إلى القلب ما يبرد به من اليقين، ويقف على مواقف آراء العباد في هذه المَهامِه، فما تتسع له هذه الفتوى، وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا، وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا، وربما أكتب ـ إن شاء الله ـ في ذلك ما يحصل به المقصود.

وجماع الأمر في ذلك: أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته.

ولا يحسب الحاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً ألبتة؛ مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه»[2] ونحو ذلك فإن هذا غلط.

وذلك أن الله معنا حقيقة، هو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فأخبر أنه فوق العرش

---

(١) كتاب السنة/ باب في لزوم السنة (٤٤٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤٠٦) كتاب الصلاة/ باب حك البزاق باليد من المسجد، ومسلم (٥٠) كتاب المساجد/ باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها.

يعلم كل شيء، وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه»(١).

وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا، ويقال: هذا المتاع معي لمجامعته لك؛ وإن كان فوق رأسك.

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: يعني كل شيء بحسبه، القمر معنا: يعني نور القمر الذي هو معنا نراه مستديراً، هكذا: والله معكم، يعني بعلمه واطلاعه علينا ورؤيته لنا، وأنه لا يخفى عليه منا خافية سبحانه وتعالى، وهو فوق العرش، هكذا فلانة مع فلان، وإن كانت في بلاد وهو في بلاد، يعني زوجة له في عصمته وإن كانت في الشرق وهو في الغرب، فيقال فلانة مع فلان، يعني زوجة له، وإن كانت ليست عنده، وإن كانت بعيدة عنه، كذا يقال فلان مع فلان، فلان مع معاوية وإن كان في أقصى الدنيا، وفلان مع علي وإن كان في أقصى الدنيا، يعني معه في النصرة والحماية والتأييد، هكذا ما أشبه ذلك، فلان مع الخوارج وإن كان بعيداً عنهم، فلان مع الرافضة وإن كان بعيداً عنهم، يعني في عقيدته وفي حمايته لهم وفي نصره لهم إلى غير هذا، كل مقام له ما يناسبه.

سؤال/ من قال إن الله معنا معية ذات تليق بجلاله؟

أجاب سماحته: هذا غلط، بل مثل ما قال السلف: معية علم، والذات فوق العرش.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وقد تقدم.

سؤال/ هل قال أحد من السلف بهذا؟
أجاب سماحته: لا أعلم أحداً قال بهذا، ومن قالها أنكروا عليه، لأنه يقتضي الاختلاط والامتزاج، فهي معية العلم لا معية الذات ،، ذاته فوق العرش سبحانه وتعالى، الذي معهم علمه واطلاعه على عباده، أما كونه معهم بالذات فلا، هو فوق العرش سبحانه وتعالى.

سؤال/ هل يقال إن الله معنا مع استوائه على العرش؟
أجاب سماحته: نعم، معنا يعني معنا بعلمه واطلاعه علينا، كل مقالة لها معناها اللائق بها.

سؤال/ حديث الأوعال؟
أجاب سماحته: منهم من حسّنه، حسّنه جماعة، وبعضهم أعلّه، لأن بعض رواته لم يسمع من الأحنف، الراوي عن الأحنف لم يسمع منه، لكن معناه صحيح من حيث العلو والفوقية وأن الله مع عباده بعلمه سبحانه.

فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة.

ثم هذه «المعية» تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم، شهيد عليكم ومهيمن، عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] الآية.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

[التوبة: ٤٠] [١]. كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، هنا المعية على ظاهرها، وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف، أنا معك أو أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك، ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه، ففرْق بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها؛ فيختلف باختلاف المواضع.

فلفظ «المعية» قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ـ وإن امتاز كل موضع بخاصية ـ فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق، حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها.

ونظيرها من بعض الوجوه «الربوبية، والعبودية» فإنهما وإن اشتركتا

---

(١) والقصة رواها البخاري (٣٦٥٢) كتاب فضائل الصحابة/ باب مناقب المهاجرين وفضلهم من حديث البراء ﷺ، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة ﷺ/ باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ من حديث أنس ﷺ بلفظ «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

في أصل الربوبية والعبودية فلما قال: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١ - ١٢٢]، كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره؛ فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره.

وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]، و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].

فإن العبد تارة يعني به المعبّد فيعم الخلق كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وتارة يعني به العابد فيخص، ثم يختلفون، فمن كان أعبد علماً وحالاً كانت عبوديته أكمل.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى أن له عبودية عامة وعبودية خاصة، وربوبية عامة وربوبية خاصة، وهذا واضح، فإن الربوبية بمعنى التربية لخواص العباد من الرسل والأولياء وعباد الله الصالحين غير الربوبية العامة لبقية البشر. وهكذا العبودية الخاصة للأنبياء والرسل وعباد الله الصالحين غير العبودية العامة، وهكذا كله واضح في الكتاب والسنة ومن كلام الناس أيضاً. فهكذا المعية تنوعها أمر معلوم.

فكانت الإضافة في حقه أكمل، مع أنها حقيقة في جميع المواضع.

ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس «مشكّكة» لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط؟

والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة، إذ

واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعاً مختصاً من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ.

قال سماحة الشيخ ﷺ: الأمور المتواطئة هي التي تشترك في أصل المعنى، بخلاف المشتركة فإنها لا تتفق في المعنى، بل تطلق على كلمات لها معان كثيرة، ويقال لها أسماء مشتركة، وأما المتواطئة فهي التي تتحد في أصل المعنى وتتفاوت في معان كثيرة، لأنها ترد في كل مكان بما يناسبه.

هكذا المعية مع العباد، معية الله مع عباده، معية الرجل مع زوجته، معيته مع ولي الأمر مختلفة، وإن كان أصل المعنى نوع المقارنة، بخلاف الكلمات التي تطلق على أشياء كثيرة مشتركة لا تتحد في معنى.

ومن علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات ـ كإضافة الربوبية مثلاً ـ وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش، وأن الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازاً؛ علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف.

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ـ إن نقله عن غيره ـ وضال ـ إن اعتقده في ربه ـ وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد، ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله ورسوله «أن الله في السماء» أن السماء تحويه؟ لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا.

وإذا كان الأمر هكذا: فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله، بل عند الناس «أن الله في السماء» وهو على العرش واحد، إذ السماء إنما يراد به العلو.

سؤال/ قوله ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني على السماء أو فوق السماء؟
أجاب سماحته: له معنيان، إذا أراد بالسماء المبنية الموجودة فإن الله على السماء ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٢]، يعني على الأرض، وإذا أريد لجنس العلو فالمراد نفس العلو، وإنما العرش في العلو.

فالمعنى أن الله في العلو لا في السفل، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله، لا نسبة إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١]، وقال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، بمعنى «على» ونحو ذلك، وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً، وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وإنها متواطئة في الغالب لا مشتركة.

وكذلك قوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصق قبل وجهه»(١) الحديث. حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات.

فان الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضاً قبل وجهه.

وقد ضرب النبي ﷺ المثل بذلك - ولله المثل الأعلى - ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وإمكانه، لا تشبيه الخالق بالمخلوق.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وقد تقدم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى في هذا أن جميع الروايات أثبتت العلو «فإن الله قبل وجه المصلي» وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، وما أشبه ذلك كله لا ينافي العلو، وهو فوق العرش فوق جميع الخلق، وهو مع عباده بعلمه واطلاعه، وهو قبل وجوه المصلين لأنهم يعبدونه ويقصدونه ويقبلون عليه سبحانه وتعالى، وهو قبل وجوههم وإن كان فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه وتعالى، لا تنافي بين هذه الصفات وبين علوه واستوائه على عرشه جل وعلا، لأنه لا يقاس بخلقه ولا يُشبَّه بخلقه جل وعلا.

فقال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً به» فقال له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جميع؟ فقال النبي ﷺ: «سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به، وهو آية من آيات الله، فالله أكبر».

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وهذا مثال واضح، والأمثلة كثيرة، القمر والشمس والنجوم يراها الناس، كل يراها في مكانه وفي بيته وفي سطحه وفي جبله وفي مرعاه، في كل مكان، وكل واحد يراها مخلياً بها، والله فوق ذلك وأعظم من ذلك سبحانه وتعالى، ويراه المؤمنون يوم القيامة وهم على أسرتهم وعلى أماكنهم إذا تجلى لهم سبحانه وتعالى، وهذا بفضله وإحسانه إليهم، حيث يتجلى لهم ويريهم وجهه الكريم ويكلمهم ويسلم عليهم ويقول: «هل رضيتم»؟ سبحانه وتعالى(١).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٩) كتاب الرقاق/ باب صفة الجنة والنار، و(٧٥١٨)كتاب التوحيد/ =

سؤال/ يأتيهم أو يأتون لرؤيته؟

أجاب سماحته: لهم مزار، لكن على كراسيهم وعلى أماكنهم بلا زحمة، على ما أعد الله من الكراسي والمنازل.

أو كما قال النبي ﷺ.(١) وقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر»(٢) فشبّه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابهاً للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه، كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلاً.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: تشبيه الرؤية بالرؤية، يعني أنها رؤية حقيقية ليست خيالاً ولا كذباً، بل حقيقة، كما أن رؤية الشمس والقمر والنجوم وأشباهها حقيقية، فهكذا المؤمنون يوم القيامة وبدار الكرامة يرون ربهم حقيقة سبحانه وتعالى، ويكشف لهم الحجاب عن وجهه الكريم فيرونه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى، ولا يلزم من هذا تشبيهه ولا تكييفه ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله؛ يكون إقراره للكتاب والسنة على ما هما عليه أوكد.

واعلم أن من المتأخرين من يقول: مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، وهذا اللفظ «مجمل» فإن قوله:

= باب كلام الرب مع أهل الجنة، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب ما في الجنة من النعيم وما يكون لأهلها من الرضوان، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(١) رواه أحمد وابن ماجه في المقدمة/ باب فيما أنكرت الجهمية (١٨٠).

(٢) رواه الشيخان وقد تقدم.

«ظاهرها غير مراد» يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين، مثل أن يراد بكون «الله قبل وجه المصلي» أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه، وأن «الله معنا» ظاهره أنه إلى جانبنا ونحو ذلك؛ فلا شك أن هذا غير مراد.

ومن قال: إن مذهب السلف أن هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى، لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث، فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع، اللهم إلا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس، فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار، معذوراً في هذا الإطلاق.

فإن الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس، وهو من الأمور النسبية، وكان أحسن من هذا أن يبيّن لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: ولهذا بيّن سبحانه لما أخبرهم بسمعه وبصره وغضبه ورضاه، قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فعلم بذلك أن الظاهر الذي أخبر به سبحانه وتعالى هو الظاهر الذي يليق به، ليس الظاهر الذي يشابه العباد، فظاهر النصوص هو الشيء الموافق لما أخبر به سبحانه وهو أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فهي صفات ظاهرة معلومة، ليس ظاهرها الذي يظنه المخلوق والجاهل أنها من جنس صفاته، لا، بل ظاهرها هو الذي يليق بالله، لأن الله بيّنه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا

أَحَـدُۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴾ [النحل: ٧٤].

فإذا قال إنه سميع بصير؛ فليس الظاهر من جنس صفات المخلوقين، بل الظاهر الذي يليق بالله سبحانه وتعالى ويناسبه سبحانه، كما أخبر عز وجل.

وإن كان الناقل عن السلف أراد بقوله: لظاهر غير مراد عندهم أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا يختص بصفة المخلوقين، بل هي واجبة لله، أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً، أو جوازاً خارجياً غير مراد، فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف، أو تعمد الكذب، فما يمكن أحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل ـ لا نصاً ولا ظاهراً ـ أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش، ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة.

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقولون: إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف، بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك، ويقولون: الفرق بين الطريقين أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون لجواز أن يراد غيره.

وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف، أما في كثير من الصفات فقطعاً: مثل أن الله تعالى فوق العرش، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم ـ الذي لم يحك هنا عشره ـ علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط،

وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك.

والله يعلم أني بعد البحث التام، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف، ما رأيت كلام أحد منهم يدل - لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن - على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر، بل الذي رأيته أن كثيراً من كلامهم يدل - إما نصاً وإما ظاهراً - على تقرير جنس هذه الصفات، ولا أنقل عن كل واحد منهم إثبات كل صفة، بل الذي رأيته أنهم يثبتون جنسها في الجملة، وما رأيت أحداً منهم نفاها.

وإنما ينفون التشبيه، وينكرون على المشبّهة الذين يشبهون الله بخلقه، مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضاً؛ كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً[1].

وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: هذا جهمي معطّل، وهذا كثير جداً في كلامهم، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبّهاً - كذباً منهم وافتراء - حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يعني رماهم بأنهم مشبّهة، وهذا أعظم الجهل والكفر، نسأل الله العافية، إلى يومنا هذا من بقايا المعتزلة والجهمية

---

(١) رواه اللالكائي ١/ ٥٨٧ (٩٣٦) سياق ماروي في تكفير المشبّهة، والذهبي كما في مختصر العلو (٢١٧) ص ١٨٤.

وغيرهم من الإباضية والرافضة وغيرهم، يرمون من وصف الله بصفاته وسماه بأسمائه؛ يسمونه مشبِّهاً و مجسِّماً وحشوياً، نسأل الله السلامة.

حتى قال ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبّهة؛ موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، و محمد ﷺ حيث قال: «ينزل ربنا»[١]. وحتى إن جل المعتزلة تُدخِل عامة الأئمة: مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهوية وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبّهة.

وقد صنف أبو إسحاق «إبراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي» جزءاً سماه: «تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة» ذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذا الباب، وذكر أن أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه - يزعم أنه صحيح على رأيه الفاسد - كما أن المشركين كانوا يلقبون النبي بألقاب افتروها.

فالروافض تسميهم نواصب، والقدرية يسمونهم ،جبرة، والمرجئة تسميهم شكاكاً، والجهمية تسميهم مشبّهة، وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثراً.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: هكذا أهل البدع يسمون من خالفهم بالألقاب الشنيعة للتنفير، ولهذا يسمون أهل السنة بالألقاب التي هم بها أليق،

---

(١) متفق عليه، وقد مضى.

فالرافضة يسمونهم نواصب، لأنه بزعمهم يبغضون علياً، وقد كذبوا، ليسوا يبغضون علياً، بل يحبونه، ولكن لا يغلونْ فيه، لا يعطونه غير حقه، بخلاف الرافضة، فقد غلوا فيه وأعطوه غير حقه.

هكذا نفاة الصفات يسمون أهل السنة حشوية و مجسمة ومشبهة، وهم في الحقيقة الحشوية وهم المجسمة وهم المشبهة الذين شبهوه بالمعدومات والناقصات والجمادات، قبحهم الله.

وهكذا نفاة القدر، وهكذا المرجئة، كل طائفة تسمي خصمها بالألقاب الشنيعة.

إلى أمثال ذلك، كما كانت قريش تسمى النبي ﷺ تارة مجنوناً وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفترياً.

قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، اعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً، فكما أن المنحرفين عنه يسمونهم بأسماء مذمومة مكذوبة ـ وإن اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة، فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في المحيا والممات باطناً وظاهراً.

وأما الذين وافقوه ببواطنهم وعجزوا عن إقامة الظواهر، والذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن، والذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الإمكان؛ فلابد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصا يذمونهم به، ويسمونهم بأسماء مكذوبة ـ وإن اعتقدوا صدقها ـ كقول الرافضي: من لم يبغض أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ وعمر؛ فقد أبغض علياً، لأنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة منهما، ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ناصبياً، بناء على هذه الملازمة الباطلة، التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب.

وكقول القدري: من اعتقد إن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد؛ فقد سلب من العباد الاختيار والقدرة، وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة.

وكقول الجهمي: من قال إن الله فوق العرش؛ فقد زعم أنه محصور، وأنه جسم مركب محدود، وأنه مشابه لخلقه.

وكقول الجهمية المعتزلة: من قال إن لله علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب، وأنه مشبّه، لأن هذه الصفات أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز، وكل متحيز جسم مركب، أو جوهر فرد، ومن قال ذلك فهو مشبّه، لأن الأجسام متماثلة.

ومن حكى عن الناس «المقالات» وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة - بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها - فهو وربه.

قال سماحة الشيخ ﷺ: يعني مصيره إلى ربه، الله هو الذي يجازيه.

والله من ورائه بالمرصاد، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها «ستة أقسام» كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

«قسمان» يقولان: تجرى على ظواهرها.

و«قسمان» يقولان: هي على خلاف ظاهرها.

و«قسمان» يسكتون.

أما الأولون فقسمان:

(أحدهما): من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبّهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وإليهم يتوجه الرد بالحق.

(الثاني): من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجري ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله، فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به.

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك: في حق العبد أعراض، والوجه واليد والعين في حقه أجسام، فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة - وإن لم يكن ذلك عرضاً، يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين - جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليس أجساماً، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين.

وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى أنا نثبت صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق به، سواء كانت من العلم والقدرة ونحو ذلك، أو من أسماء الذوات كالوجه واليد والقدم ونحو ذلك، والسمع والبصر، كلها يجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته، فصفات المخلوقين من وجوههم وأيديهم وعلومهم يعتريها النقص والعدم والضعف، فهو يموت ويعمى ويصيبه ما يصيبه من الآفات، أما الله عز وجل فمنزه عن هذا كله، فلا يعتري صفاته نقص، بل له الكمال المطلق من كل الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته، فلها صفات الكمال، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، لأنه الكامل سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا شبيه له ولا كفو له ولا ند له سبحانه وتعالى.

وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات؛ فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين؟ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب - الذي ليس كمثله شيء - إلا ما يناسب المخلوق؛ فقد ضل في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذ قال لك الجهمي كيف استوى أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك؟ فقل له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك: لا يعلم ما هو إلا هو، وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر، فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته !؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك.

بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء[1] وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، وأخبر النبي ﷺ: أن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[2]. فإذا كان نعيم الجنة

---

(١) تفسير ابن كثير: سورة البقرة، آية (٢٥) وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٤٧٣: رواه البيهقي موقوفا بسند جيد.

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب ما في الجنة من النعيم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهو خلق من خلق الله كذلك؛ فما ظنك بالخالق سبحانه وتعالى.

قال سماحة الشيخ ﵀: ما في الجنة من النعيم لا يشبه ما في الدنيا، بل له فضل عظيم وقول عظيم، أما في الدنيا فالله أولى وأولى بأن يكون مخالفاً لما عليه المخلوقون، وله الكمال الكامل سبحانه وتعالى، ولا يشابه مخلوقاته، فإن مخلوقاته موجودة في الجنة، ومع هذا لا تشبه مخلوقات الدنيا، بل هي أفضل منها وأعظم وأحسن، وعواقبها أطيب، فكيف بحال الخالق سبحانه وتعالى؟.

وهذه «الروح» التي في بني آدم، قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ مع أنّا نقطع بأن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة، لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم، حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص؛ فيكونون قد أخطئوا في اللفظ وأنى لهم بذلك.

ولا نقول إنها مجرد جزء من أجزاء البدن كالدم والبخار مثلا، أو صفة من صفات البدن والحياة، وإنها مختلفة الأجساد، ومساوية لسائر الأجساد في الحد والحقيقة، كما يقول طوائف من أهل الكلام، بل نتيقن أن الروح عين موجودة غير البدن، وإنها ليست مماثلة له، وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازاً، فإذا كان مذهبنا في حقيقة الروح وصفاتها بين المعطّلة والممثلة؛ فكيف الظن بصفات رب العالمين؟

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمقصود من هذا أن الروح فيها عبرة للعاقل، هذه الروح التي بها حياة الإنسان وبها تصرفاته وعلمه وغير ذلك عبرة، جهله بها يكفي أن يقف عند هذا، إذا جهل روحه فكيف يطلب أن يعلم كيفية الرب وكنهه سبحانه وتعالى؟ والله قد نهاه عن هذا، وبيّن أنه لا مثيل له ولا كفو له، فهو بهذا يكابر ويطلب شيئاً منع منه ولا سبيل له إليه، فهو أعجز وأقل من أن يعرف كيفية ربه وكنهه سبحانه وتعالى، وهذه روحه بين جنبيه وما يعرف حقيقتها ولا كنهها، وإنما يعرف شيئاً من صفاتها، من خروجها ورجوعها وغير ذلك مما أخبر الله به عنها ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥]، مع أنها يومها في البدن، بخروجها يكون كسائر الجمادات، فله في هذا - لو عقل - له عبرة في هذا أن يكف عما جهل ويعرف قدره، وأن يقف عند الحدود التي حدها الله له، فلا يتكلف ما لا يعلم.

وأما (القسمان) اللذان ينفيان ظاهرها، أعني الذين يقولون: ليس لها في الباطن مدلول هو صفة الله تعالى قط، وإن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات - وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر - أو يثبتون الأحوال دون الصفات، ويقرون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث، على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين. فهؤلاء قسمان:

(قسم) يتأولونها ويعيّنون المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلمين.

(وقسم) يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه.

قال سماحة الشيخ ﷺ: وهذا القسم يسمون المفوضة، والأولون يسمون المعطلة، عطلوا الصفات ففوضوها، زعموا أن الله خاطبهم بما لا يعلمون، وهذه الطائفة أقبح أيضاً من الطائفة الأولى من بعض الوجوه، وأهل السنة يقولون إنها حق، وإنها صفات معلومة، لكن لا يعلم كيفيتها، بل ذلك إلى الله، فالاستواء معروف وهو الارتفاع والعلو، والرحمة معلومة، والسمع معلوم، والبصر معلوم، لكن ليس مثل صفاتنا.

وأما (القسمان) الواقفان:.

فقوم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله، ونحو ذلك. وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

وقوم يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات. فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها؛ القطع بالطريقة الثابتة كالآيات والأحاديث الدالة على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فوق عرشه، ويعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله، بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالة لا تحتمل النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض، وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة. قالت: كان رسول الله إذا قام يصلي من الليل قال: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت

تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(١).

قال سماحة الشيخ رحمه الله: هذا هو مسلك المؤمن في كل شيء، لأن باب الاتباع وباب الجهل ليس خاصاً بالصفات، قد يشكل عليهم أشياء في الصلاة، في الزكاة، في الصيام، في الحج، في المعاملات، في الطلاق، في الدعاوى والبينات، في الأوقاف، فالباب واحد، ينبغي للمؤمن أن يسلك مسلك أهل العلم باتباع الكتاب والسنة وإيثار الحق في باب الصفات وغيرها، في باب الصفات مسلك أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات ونفي مشابهة الله للمخلوقات، وفي باب العبادات التمسك بما جاء به الشرع وترك ما خالف ذلك، في المعاملات ما دل عليه الشرع في أحكام المعاملات وغير ذلك، فإذا اشتبه عليه شيء وحار في شيء فليسأل ربه التوفيق والهداية، ويسأل ربه أن يفتح عليه من العلم ما يزيل هذه الشبهة، ومن ذلك ما كان يدعو به النبي ﷺ في صلاة التهجد: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»(٢).

يسأل ربه أن يفتح عليه، وأن يهديه لما اختلف الناس فيه، لأن الغالب أن الاشتباه يكون في محل الاختلاف، محل الإجماع ما فيه اشتباه، تطمئن القلوب، لكن يكون الاشتباه في الغالب فيما وقع فيه الخلاف، فعند هذا

---

(١) رواه مسلم (٢٠٠) كتاب المسافرين/ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) رواه مسلم (٧٧٠) كتاب صلاة المسافرين/ باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، من حديث عائشة رضي الله عنها.

إذا وقع في قلبك شيء، ولم ينشرح صدرك ولم تطمئن؛ فاسأل ربك الهداية، واضرع إليه أن يهدي قلبك، وأن يبصّرك، وأن يمنحك العلم النافع والبصيرة، وأن يفقِّهك في الدين، ومن ذلك هذا الدعاء: «اللهم رب جبرائيل .. ».

وفي رواية لأبي داود: أنه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: هو من أنواع الاستفتاح، وهي أنواع عديدة، ثبتت عن النبي ﷺ وهذا منها «اللهم رب جبرائيل ...» الخ.

فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ انفتح له طريق الهدى.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: والمعنى أنه ما يكتفي بالدعاء، يدعو ويعمل، يدعو ولكن يراجع الأدلة، يراجع كلام الصحابة، كلام أهل العلم في المسألة التي أشكلت عليه، فيأخذ بالأسباب ويراجع الأدلة، يتأمل، يخلص لله ويسأل ربه الإعانة والتوفيق، حتى تنشرح نفسه للحق فيزول ما في نفسه من الشبهة.

فالدعاء وحده لا يكفي، والتفتيش وحده لا يكفي، يجمع بينهما، يدعو ربه، يخلص إليه سبحانه وتعالى ويصدق في ذلك، ويبحث ويطالع ويراجع ويسأل أهل العلم وهكذا، يعني يأخذ بالأسباب كلها، هكذا الصادق في طلبه يجمع بين الأسباب كلها، مثل ما أنه يطلب الرزق كذلك يفعل الأسباب، إن كان في مزرعة سقى الزرع واعتنى بالزرع وأزال أسباب فساد الزرع، مع الإخلاص لله، ومع سؤال الله التوفيق، ومع سؤال الله نزول البركة، وإن كان في جهاد أخذ السلاح وأعد السلاح وحذر من العدو ومكائد العدو، وهو مع ذلك يسأل ربه النصر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء: ٧١]، وهكذا في المسائل الأخرى.

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب؛ وعرف أن غالب ما يزعمونه برهاناً هو شبهة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، أو التمسك في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة.

ثم إن ذلك إذا ركب بِألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم ـ أو همت الغِرّ .

قال سماحة الشيخ رحمه الله: الغِرّ يعني الجاهل.

ما يوهمه السراب للعطشان ـ ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة، فإن الضد يظهر حسنه الضد.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: وبضدها تتبين الأشياء، إذا كان طالب العلم قد عرف حال المتكلمين ونهاية إقدامهم وما صاروا إليه من الشك والريب، ثم تحولوا بعد ذلك، تحول بعضهم إلى قول أهل الحق، وعرف أن ما يدعونه من الدعاوى ما بين الكذب وما بين الشيء الفاسد، القياس الفاسد، وما بين برهان لا حقيقة له وإنما هو شبهة، وبين قواعد أسسوها لا أساس لها، وبين إجماعات ادعوها لا حقيقة لها، فإذا كان عنده بصيرة من هذه الأمور؛ ازداد إيماناً وازداد بصيرة واطمئن إلى ما هداه الله إليه من العلم الذي حُرِمه أولئك، حتى وصلوا بعد ذلك إلى الشك والريب والجهل، أو رجعوا بعده إلى الحق والصواب، والله المستعان.

وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً، وبقدره أعرف إذا هدي إليه.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: لأن علمه في السابق ببطلان ما عليه أهل الباطل يزيده علماً بما هو عليه من الحق، ويزيده ثباتاً.

فأما المتوسطون من المتكلمين فيخاف عليهم ما لا يخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف من شيء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله، وأما المتوسط فيتوهم بما يتلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً لمُعَظِّمة هؤلاء.

وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم في الغالب ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨-٩]، يعلم الذكي منهم والعاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست ببينة، وإنما هي كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير بهم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الكلام(١).

(١) رواه أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام وأهله» ٤/ ٢٩٤(١١٤٢) والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٩ وقال: لعل هذا متواتر عن الإمام.

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر - والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم - رحمتهم وترفقت بهم، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

ومن كان عليماً بهذه الأمور؛ تبيّن له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى في غير الكتاب والسنة لم يزدد من الله إلا بعداً.

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين.

قال سماحة الشيخ رحمه الله: يقول رحمه الله في أهل الكلام: ينبغي أن يُنظر إليهم بنظرين، أهل الكلام الذين خاضوا في الكلام ولم يكتفوا بالكتاب والسنة، حتى وقعوا فيما وقعوا فيه من الشك والحيرة، وحتى سببوا للناس شكاً وحيرةً، وحتى سببوا للناس مشاكل كثيرة ونزاعاً ومناظرات وتعباً كثيراً، من نظر إليهم من جهة خلافهم للكتاب والسنة، وإعراضهم عن النصوص وتحكيمهم آراءهم؛ صوّب ما قاله الشافعي فيهم، ورأى أنه كلام عظيم صدر من إمام جليل رحمه الله حيث قال: حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في الأسواق والعشائر، ويقال: هذا

جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وخاض بالرأي[1].

فهذا كلام صحيح وكلام عظيم، هم جديرون به حقيقون به، لإعراضهم عن النصوص، وتلبيسهم على الناس، وإشغالهم أكثر الناس، حتى حار من حار وضل من ضل بأسبابهم، فهم جديرون بأن يطاف بهم في الأسواق والعشائر والبلدان ويجلدوا ويضربوا وينكل بهم، لعملهم الخبيث وإعراضهم عن النصوص.

ومن نظر إليهم بنظر ثانٍ، وهو أنهم أصابتهم حيرة وشك وريب، والتبست عليهم الأمور، من نظر إليهم بهذا النظر رحمهم، ورأى أن من الواجب أن يُعَلَّموا وأن يوجهوا وأن يُصبر عليهم لعلهم يهتدون، لعلهم يتبصرون.

وهذا الذي قاله الشيخ رحمه الله صحيح في حق من لم يعاند، أما من عاند وكابر ولم يقبل الهدى ولم يقبل التوجيه؛ فليس له إلا ما قال الشافعي رحمه الله وما هو أشد منه من ضرب عنقه وإراحة العالم منه، أو تخليده في السجون حتى يستريح الناس من شره وبلائه، فإن هؤلاء القوم ـ مثل ما قال أبو العباس رحمه الله ـ: أعطوا ذكاء وما أعطوا زكاءً، عندهم ذكاء، عندهم فهوم، عندهم حذق، ولكن لم يوفقوا، لم يعطوا زكاة، لم يزكهم الله ولم يعطهم علماً نافعاً، بل عندهم فهوم ضلوا بها، وعندهم ذكاء ضلوا به، كثير من الأذكياء قد يتزندق بسبب ذكائه، ويحتقر الناس ويرى أنهم ليسوا على شيء، فيضل ويهلك نعوذ بالله، لأنه يرى أن علمه فوق علمهم، وفهمه فوق فهمهم، وذكاءه فوق ذكائهم، كما جرى لأصحاب الكلام وأصحاب الحيرة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البلاء، ظنوا أنهم مصيبون، وأن

---

(١) رواه الهروي في «ذم الكلام» والذهبي في «سير أعلام النبلاء» وقد تقدم.

أفهامهم فوق أفهام غيرهم، وأن هؤلاء ما عندهم بصيرة، وأنهم بلداء، هكذا اعتقدوا فضلوا وأضلوا نسأل الله العافية، أعطاهم الله أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فما أغنت عنهم أسماعهم ولا أبصارهم ولا انتفعوا بشيء، لأجل استكبارهم عن الحق، وإعراضهم عن الحق، واستغنائهم عن النصوص، وزعمهم أن النصوص لا تفيد علماً، وإنما العلم يؤخذ من فهومهم وآرائهم، فلهذا هلكوا وأهلكوا نسأل الله العافية.

فرحم الله المؤلف، وجزاه عما فعل خيراً، وهذا الكتاب الذي هو الحموية، كتاب عظيم، جدير بالعناية، جدير بالحفظ، لما فيه من النقول عن السلف، وبيان الحق بأدلته، والرد على أهل الباطل من أهل الكلام والبدع ومن الفلاسفة والملاحدة، فهو كتاب عظيم مع اختصاره ومع وضوحه، وهو في الحقيقة من أحسن ما كتبه المؤلف رحمه الله.

وفق الله الجميع.

* * *

ترجمة لأسماء بعض من ذكرهم شيخ الإسلام ونقل عنهم

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر أحد السابقين شهد بدراً واستشهد بمؤتة وكان ثالث الأمراء بها استشهد بمؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان.

الجعد بن درهم عداده في التابعين مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة. وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة.

بشر بن غياث المريسي أبو عبد الرحمن، فقيه معتزلي يرمى بالزندقة، أخذ الفقه عن أبي يوسف، وهو رأس الطائفة المريسية، قال عنه في «اللسان»: مبتدع ضال لا ينبغي أن يروى عنه ولا كرامة.

مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي ـ وأصبح من أكرم قبائل اليمن ـ أبو عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة، رأس المتقنين وكبير المتثبتين حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر، وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، فقيه الأمة وزعيم أهل الحديث وكان مولده سنة ٩٣هـ أو ٩٤هـ أخذ عن تسعمائة شيخ فأكثر، وحدث عنه أمم لا يكادون يحصون، ومن تلامذته الإمام الشافعي، توفي في ربيع الأول سنة ١٧٩هـ وقال الواقدي بلغ تسعين سنة.

سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخرة وكان ربما دلس

لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار مات في رجب سنة ١٩٨هـ وله إحدى وتسعون سنة.

عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد جمعت فيه خصال الخير مات سنة ١٨١هـ بهيت وله ثلاث وستون.

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي: قال عمرو الناقد كان صاحب سنة وقال أبو حاتم يكتب حديثه وقال المزني هو اتبع القوم للحديث ولي القضاء سنة ست وستين ومائة ومات في شهر ربيع الأول لخمس خلون منه قال شجاع بن مخلد: حضرنا جنازة أبي يوسف القاضي ومعنا عباد بن العوام فسمعت عبادا يقول ينبغي لأهل الإسلام أن يعزِّى بعضهم بعضا بأبي يوسف.

محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر رأس الطبقة التاسعة وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، هو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، كان حبر الأمة، منقطع القرين، أعلم الناس شرقاً وغرباً، برع في العلوم وابتكر أصول الفقه، وجده شافع صحابي لقي النبي ﷺ وهو مترعرع، مات سنة ٢٠٤هـ وله أربع وخمسون سنة.

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي نزيل بغداد أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة المتبوعين، أعظم الأئمة بلاء وثباتاً في الدين، كان يحفظ ألف ألف حديث، ثقة حافظ فقيه حجة وهو رأس

الطبقة العاشرة مات سنة ٢٤١هـ وله سبع وسبعون سنة، قيل إنه أسلم يوم موته عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس.

إسحاق بن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو محمد بن المروزي ثقة حافظ مجتهد قرين أحمد بن حنبل نزيل نيسابور وعالمها، بل شيخ أهل المشرق، يعرف بابن راهويه، قال أحمد: لا أعلم لإسحاق بالعراق نظيراً، قال أبو زرعة: ما رئي أحفظ من إسحاق، وقال أبو حاتم: العجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ، توفي ليلة نصف شعبان سنة ٢٣٨هـ.

الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي الإمام الزاهد القدوة شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم وكان إماما ربانيا صمدانيا قانتا ثقة كبير الشأن أصله من خراسان وسكن مكة ثقة عابد إمام مات سنة ١٨٧هـ وقيل قبلها.

بشر الحافي: بشربن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزي نزيل بغداد أبو نصر الحافي الزاهد الجليل المشهور ثقة قدوة مات سنة ٢٢٧ وله ست وسبعون.

عثمان بن سعيد الدارمي ولد قبل المائتين بيسير، وقيل سنة مائتين، كان واسع الرحلة وطاف الأقاليم في طلب الحديث ولقي الكبار، قال عنه الذهبي: «الحافظ الإمام الحجة، كان لهجاً بالسنة بصيراً بالمناظرة». توفي عام ٢٨٠هـ.

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو

عبد الله البخاري، جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث، وهو أمير المؤمنين في الحديث، كان آية في صناعة الحديث، وكتابه الجامع الصحيح أصح الكتب بعد كتاب الله، غني عن التعريف، مات سنة ٢٥٦هـ في شوال وله اثنتان وستون سنة.

اللالكائي: الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الحافظ الفقيه الشافعي محدث بغداد قال الخطيب كان يفهم ويحفظ وصنف كتابا في السنة وكتابا في رجال الصحيحين وكتابا في السنن وعاجلته المنية خرج إلى الدينور فأدركه أجله بها في رمضان سنة ٤١٨هـ.

ابن بطة: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة كان أحد الفقهاء على مذهب أحمد بن حنبل، سافر الكثير إلى البصرة والشام وغيرهما من البلاد عن عبدالحميد ابن علي العكبري قال لم أر في شيوخ أصحاب الحديث ولا في غيرهم أحسن هيئة من ابن بطة.

عن القاضي أبو حامد أحمد بن محمد الدلوي قال لما رجع أبوعبدالله بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة فلم ير خارجاً منه في سوق ولا رؤي مفطراً إلا في يومي الأضحى والفطر وكان أمّاراً بالمعروف ولم يبلغه خبر منكر إلا غيّره، توفي سنة ٣٨٧هـ

أبو ذر الهروي الإمام العلّامة الحافظ عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي بن السماك شيخ الحرم ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة تقريبا قال الخطيب قدم أبو ذر بغداد وأنا

غائب فحدث بها وحج وجاور ثم تزوج في العرب وسكن السروات فكان يحج كل عام ويحدث ويرجع وكان ثقة ضابطا دينا وقال أبو علي ابن سكرة توفي في عقب شوال سنة ٤٣٤هـ .

ابن عبد البر الإمام شيخ الإسلام حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ساد أهل الزمان في الحفظ والإتقان قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث. وقال ابن حزم: التمهيد لصاحبنا أبي عمر لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه وكتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد وله تواليف لا مثل لها في جمع معانيها، كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله وعارفاً بالرجال، موصوفاً بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا، مشاركاً في الأدب وقول الشعر، توفي سنة ٥١٠هـ واستكمل خمساً وتسعين سنة وخمسة أعوام.

البيهقي الإمام الفقيه الحافظ الأصولي الديّن الورع واحد زمانه في الحفظ وفرد أقرانه في الإتقان والضبط الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي البيهقي صاحب التصانيف بورك له في علمه لحسن قصده وقوة فهمه وحفظه وعمل كتباً لم يسبق إلى تحريرها، عن إمام الحرمين أبي المعالي قال ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منّة إلا أبا بكر البيهقي فإن له المنة على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه توفي ٤٥٨هـ.

الخلاّل الفقيه العلاّمة المحدث أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون

البغدادي الحنبلي المشهور بالخلاّل مؤلف علم أحمد بن حنبل وجامعه ومرتبه صنف كتاب السنة في ثلاث مجلدات وكتاب العلل في عدة مجلدات وكتاب الجامع وهو كبير جدا رحل وتغرب زمانا وتصانيفه تدل على سعة علمه قال أبو بكر بن شهريار كلنا تبع لأبي الخلال لم يسبقه إلى جمع علم الإمام أحمد أحد قبله، مات في شهر ربيع الأول سنة ٣١١هـ وله سبع وسبعون سنة وقيل نيف على الثمانين رحمه الله تعالى.

ابن خزيمة الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ولد سنة ٢٢٣هـ وعنى بهذا الشأن في الحداثة أكثر وجوّد وصنف واشتهر اسمه وانتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان حدّث عنه الشيخان خارج صحيحيهما وقال أبو علي النيسابوري كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارىء السورة. هذا الإمام كان فريد عصره قال أبو حاتم محمد بن حبان التميمي: ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط وكانت وفاته في ثاني ذي القعدة سنة ٣١١هـ وهو في تسع وثمانين سنة.

عبد العزيز المكي: هو عبد العزيز بن يحيى الكناني، من ولد أبي بكر الصديق أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي، قدم بغداد أيام المأمون، وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في خلق القرآن، بحضرة الخليفة المأمون، وصنف كتاب«الحيدة» أثبت فيه نص مناظرته لبشر، لكن في ثبوت هذه المناظرة نظر، فإنه تفرد بروايتها محمد بن الحسن بن أزهر

الدعاء، وقد اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث، وذكر الذهبي أنه هو الذي وضعها، فراجع «الميزان» (٣/ ٤٤) و«طبقات السبكي» (١/ ٢٦٥) توفي بعد سنة ٢٣٠هـ.

نعيم بن حماد الإمام الشهير أبو عبد الله الخزاعي المروزي الفرضي نزيل مصر، قال ابن معين كان نعيم صديقي وهو صدوق كتب بالبصرة عن روح خمسين ألف حديث، حمل من مصر مع الفقيه أبي يعقوب البويطي إلى بغداد في محنة القرآن مقيدين فحبسا بسامرا حتى مات نعيم في جمادي الأولى سنة ٢٢٨هـ وكان من أوعية العلم.

الطبراني الحافظ الإمام العلامة الحجة بقية الحفاظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني مسند الدنيا، ولد سنة ستين ومائتين وسمع في سنة ثلاث وسبعين وهلم جرا بمدائن الشام والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة وأصبهان والجزيرة صنف المعجم الكبير والمعجم الأوسط وصنف المعجم الصغير وصنف أشياء كثيرة وكان من فرسان هذا الشأن مع الصدق والأمانة توفي لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ، استكمل مائة عام وعشرة أشهر.

عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الرحمن ولد الإمام، قال أبو بكر الخطيب كان ثقة ثبتاً فهماً. قال أبو الحسين بن المنادى لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه لأنه سمع المسند وهو ثلاثون ألفا والتفسير وهو مائة ألف وعشرون ألفا سمع منه ثمانين ألفا والباقي وجادة وسمع الناسخ والمنسوخ والتاريخ وحديث شعبة والمقدم

والمؤخر في كتاب الله وجوابات القرآن والمناسك الكبير والصغير وغير ذلك من التصانيف وحديث الشيوخ قال وما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها ويذكرون عن أسلافهم الإقرار له بذلك حتى إن بعضهم أسرف في تقريظه إياه بالمعرفة وزيادة السماع للحديث على أبيه، مات ٢٩٦ هـ وله بضع وسبعون.

الأثرم أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم الفقيه الثقة الحافظ صاحب أحمد بن حنبل خراساني الأصل، قال الخلال: أخبرني أبو بكر ابن صدقة قال سمعت إبراهيم الأصبهاني: يقول الأثرم أحفظ من أبي زرعة الرازي وأتقن له تصانيف مات سنة ٢٧٣هـ.

محمد بن نصر المروزي الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله الفقيه ولد سنة ٢٠٢هـ كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم، قال الحاكم: هو إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، قال أبو محمد بن حزم: أعلم الناس كان من أجمعهم للسنن وأضبطهم لها وأذكرهم لمعانيها وأدراهم بصحتها وبما أجمع عليه الناس مما اختلفوا فيه مات في المحرم سنة ٢٦٤هـ بسمرقند وله اثنتان وتسعون سنة.

أبو داود الإمام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني صاحب السنن، قال الصاغاني: لين لأبي داود الحديث كما لين لداود الحديد، كان من العلماء العاملين حتى إن بعض الأئمة قال كان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل في هديه ودله وسمته وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع وكان وكيع يشبه في ذلك بسفيان وسفيان

بمنصور ومنصور بإبراهيم وإبراهيم بعلقمة وعلقمة بعبد الله بن مسعود مات أبو داود في سادس عشر شوال سنة ٢٧٥هـ بالبصرة.

ابن أبي عاصم: الحافظ شيخ الإسلام الضحاك بن مخلد الشيباني أبو عاصم النبيل البصري ولولا تأخر موته لذكر مع وكيع بل مع ابن المبارك وكان يلقب بالنبيل لنبله وعقله وقيل غير ذلك ولم يحدث قط إلا من حفظه قال عمر بن شبة: والله ما رأيت مثله. وقال البخاري وغيره: سمعناه يقول ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها. وقال أبو داود: كان أبو عاصم يحفظ نحو ألف حديث من جيد حديثه. وقال ابن سعد: كان ثقة فقيها مات بالبصرة لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٢١٢هـ، عاش تسعين سنة وأشهراً.

يحيى بن يحيى الإمام الحافظ شيخ خراسان أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري قال الحاكم هو إمام عصره بلا مدافعة ولد سنة ١٤٢هـ قال ابن راهويه: ما رأيت مثل يحيى بن يحيى ولا أظنه رأى مثل نفسه يحيى. وقال أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول مات يوم مات وهو إمام لأهل الدنيا وقال يحيى بن الذهلي: ما رأيت أحداً أجل ولا أخوف لربه من يحيى بن يحيى. وعن ابن راهويه قال: ظهر ليحيى بن يحيى نيف وعشرون ألف حديث. وقال الذهلي: لو أشاء لقلت هو رأس المحدثين في الصدق. وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يثني على يحيى بن يحيى ويقول: ما أخرجت خراسان مثله. مات في صفر سنة ٢٢٦هـ رحمه الله تعالى وكان أسن من الشافعي بثمانية أعوام.

أبو حامد الغزالي حمد بن محمد بن الحسين أبو العباس الطوسي،

الفقيه المعتزلي المعروف بالغزالي كان قاضي جرجان قدم نيسابور مختلفا إلى درس إمام الحرمين وجد واجتهد تخرج في مدة قريبة وبذ الأقران وحمل القرآن وصار أنظر أهل زمانه وواحد أقرانه في أيام إمام الحرمين وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشدهم ويجتهد في نفسه ويبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف وكان لذكائه يلقب بحجة الإسلام والمسلمين، كان على مذهب المعتزلة، ويقال إنه رجع إلى مذهب أهل السنة ومات وصحيح البخاري على صدره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولهذا كان الشيخ أبو عمرو بن الصلاح يقول فيما رأيته بخطه: أبو حامد كثر القول فيه ومنه فأما هذه الكتب يعني المخالفة للحق فلا يلتفت إليها وأما الرجل فيسكت عنه ويفوض أمره إلى الله توفي رحمه الله في العشر الآخر من شهر رمضان من سنة ٥٦٧هـ.

مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي الـ مري، كان أعلمهم بالتفسير مجاهد وبالحج عطاء عن سلمة بن كهيل ما رأيت أحدا أراد بهذا العلم وجه الله تعالى إلا عطاء وطاوساً ومجاهداً. من التابعين روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، حجة، إمام فى القراءة والتفسير، عن مجاهد قال: قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت؟ وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد. وقال ابن سعد: كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث. وقال ابن حبان: كان فقيها ورعا عابدا متقنا وقال أبو جعفر الطبري: كان قارئا عالما. مات سنة ١٠١ أو ١٠٢ أو ١٠٣ أو ١٠٤ هـ

الشعبي: علامة التابعين أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني الكوفي ثقة مشهور فقيه فاضل، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه مولده في أثناء خلافة عمر فيما قيل كان إماما حافظا فقيها متفننا ثبتا متقنا وكان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، وولي قضاء الكوفة، عن الشعبي قال: ما مات لي قرابة وعليه دين إلا قضيته عنه ولا ضربت مملوكاً لي قط. عن أبي مجلز قال: ما رأيت أحداً أفقه من الشعبي لا سعيد بن المسيب ولا طاوس ولا عطاء ولا الحسن ولا بن سيرين. وعن أبي بكر الهذلي قال: قال لي ابن سيرين: الزم الشعبي فلقد رأيته يستفتى والصحابة متوافرون. وعن ابن المديني قال: قيل للشعبى: من أين لك هذا العلم كله؟ قال بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب. قال ابن عيينة: العلماء ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه. عن عبد الملك بن عمير قال: مر ابن عمر بالشعبى وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم، ولهذا أحفظ لها وأعلم بها مني. مات بعد المائة وله نحو من ثمانين.

مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي الفقيه أحد الأعلام ثقة فقيه عابد مخضرم وكان أبوه فارس أهل اليمن في زمانه، ومسروق هو ابن أخت البطل الكرار عمرو بن معدى كرب أخذ عن عمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وأبيّ، عن الشعبي قال: ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه، وكان أعلم بالفتوى من شريح، وكان شريح يستشيره، وكان مسروق لا يحتاج إلى شريح. قال ابن المديني: ما أقدّم

على مسروق أحداً من أصحاب عبد الله، وقد صلى خلف أبي بكر الصديق ﷺ. توفي مسروق سنة ٦٣ رحمة الله عليه.

أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي المقرىء مشهور بكنيته ولأبيه صحبة ثقة ثبت وكان يقرىء القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج. قال أبو إسحاق السبيعي: أقرأ أبو عبد الرحمن السلمي القرآن في المسجد أربعين سنةوكان يقرىء القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج. مات بعد السبعين.

الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية وعالمها ورئيسها ثقة ثبت فقيه إمام مشهور حج سنة ثلاث عشرة ومائة وله تسعة عشر عاماً فلحق الكبار وكان كبير الديار المصرية وعالمها الأنبل، كان الشافعي يتأسف على فواته وكان يقول: هو أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به. وقال أيضاً: كان أتبع للأثر من مالك. وقال يحيى بن بكير: هو أفقه من مالك لكن الحظوظ لمالك وقال ابن وهب: لولا الليث ومالك لضللنا. كان أحد الأجواد، وكان فقيه البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة، عن سعيد بن أبي أيوب قال: لو أن مالكاً والليث اجتمعا لكان مالك عند الليث أبكم، ولباع الليث مالكاً فيمن يزيد. وهو إمام حجة كثير التصانيف مات ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة ١٧٥هـ وله إحدى وثمانون سنة رحمه الله تعالى.

ابن منده: هو الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، قال عنه الذهبي: ولم

أعلم أحداً أوسع رحلة منه ولا أكثر حديثاً منه مع الحفظ والثقة. وقال أبو إسماعيل الأنصاري: أبو عبدالله ابن منده سيد أهل زمانه. وقال الذهبي: وقيل إن أبا نعيم الحافظ ذكر له ابن مندة فقال: كان جبلا من الجبال. ولد سنة ٣١٠ وتوفي سنة ٣٩٥.

جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين وما روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً وكان قتل جهم بن صفوان سنة ١٢٨هـ قبض عليه نصر بن سيار فقال له استبقني، فقال: لو ملأت هذا الملأ كواكب وأنزلت إليّ عيسى بن مريم ما نجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، ولا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت، وأمر بقتله. آهـ لسان الميزان

مكحول الشامي أبو عبد الله ثقة فقيه، عن مكحول قال: عتقت بمصر فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ثم أتيت العراق فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ثم أتيت المدينة فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى ثم أتيت الشام فغربلتها. مات سنة بضع عشرة ومائة.

الأوزاعي شيخ الإسلام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي الحافظ ولد سنة ثمان وثمانين وكان ثقة مأمونا صدوقا فاضلا خيّراً كثير الحديث والعلم والفقه حجة قال الوليد بن مزيد: ولد ببعلبك وربي يتيما فقيرا في حجر أمه تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه.وكان يسكن بيروت وبها مات مرابطا سنة ١٥٧هـ في آخر خلافة أبي جعفر وهو ابن سبعين سنة.

الثوري: الإمام شيخ الإسلام سيد الحفاظ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة، قال شعبة ويحيى بن معين وجماعة: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان. وكان شعبة يقول: سفيان أحفظ مني. وقال أحمد: لم يتقدمه في قلبي أحد. وقال الأوزاعي: لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضى والصحة إلا سفيان. وقال القطان: سفيان فوق مالك في كل شيء.

مولد سفيان في سنة ٩٧هـ في البصرة، كان قوالاً بالحق شديد الإنكار مات في شعبان سنة ١٦١هـ.

الزهري: أعلم الحفاظ أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب القرشي الزهري الفقيه الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام، ولد سنة ٥٠هـ عن الليث قال: ما رأيت عالما قط أجمع من الزهري، يحدث في الترغيب فتقول لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك. قال عمر بن عبد العزيز: لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية من الزهري. وروى الليث عنه قال: ما استودعت قلبي علماً فنسيته. قال مالك: بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت الدينار والدرهم عند أحد أهون منه عند الزهري كأنها بمنزلة البعر. قال الليث: كان من أسخى الناس. وقال غيره: كان الزهري جنديا جليلا. مناقب الزهري وأخباره تحتمل أربعين ورقة، توفي في رمضان سنة ١٢٤هـ.

حماد بن زيد: الإمام الحافظ المجود شيخ العراق أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي، البصري ثقة ثبت فقيه، قال ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: الثوري ومالك والأوزاعي وحماد بن زيد، لم أر أحدا قط أعلى بالسنة منه. وقال أحمد بن حنبل: هو من أئمة المسلمين من أهل الدين، وهو أحب إلي من حماد بن سلمة. مات في رمضان سنة ١٧٩هـ رحمه الله تعالى.

حماد بن سلمة: الإمام الحافظ شيخ الإسلام حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقه عابد، قال وهيب: حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا. قال شهاب بن معمر: كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال. قلت: هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة، وكان بارعاً في العربية، فقيها فصيحا مفوها صاحب سنة، وعن أحمد بن حنبل قال: إذا رأيت الرجل ينال من حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، توفي بعد عيد النحر سنة ١٦٧هـ وقد قارب الثمانين رحمه الله تعالى.

عمر بن عبد العزيز الإمام أمير المؤمنين أبو حفص الأموي القرشي مولده بالمدينة، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، كان إماما فقيها مجتهدا عارفا بالسنن كبير الشأن ثبتا حجة حافظا قنتا لله أواها منيبا، وكان مليحا أبيض جميل الشكل نحيفا حسن اللحية بجبهته أثر حافر فرس شجه في صفره ولذا كان يقال له أشج بني أمية وفي آخر أيامه وخطه الشيب عاش أربعين سنة وبعدله وزهده يضرب المثل ﷺ، قال الشافعي: الخلفاء الراشدون خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وغلي وعمر ابن عبد العزيز، مات في رجب سنة ١٠١هـ وله أربعون سنة ومدة خلافته

سنتان ونصف.

ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ الإمام أبو عثمان التيمي المدني الفقيه مولى آل المنكدر وكان إماما حافظا فقيها مجتهدا بصيرا بالرأي ولذلك يقال له ربيعة الرأي، قال مصعب الزبيري: هو صاحب الفتوى بالمدينة كان يجلس إليه وجوه الناس وبه تفقه مالك وقال ابن الماجشون: ما رأيت أحداً أحفظ لسنة من ربيعة قال عبيد الله بن عمر: ربيعة هو صاحب معضلاتنا وعالمنا وأفضلنا قال مالك: لما مات القاسم وسالم أفضى الأمر إلى ربيعة ولما قدم السفاح أمر له بمال فلم يقبله مات ربيعة سنة ١٣٦هـ.

ابن الماجشون: عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون أبو عبد الله الفقيه أحد الأعلام وكان صدوقا، قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث وأهل العراق أروى عنه من أهل المدينة. وكان فقيها ورعا متابعا لمذهب أهل الحرمين مفرعا على أصولهم ذابا عنه وقال أحمد بن صالح: كان نزها صاحب سنة وثقة. وتوفي ببغداد سنة ١٦٤هـ.

ابن أبي ذئب: العالم الثقة الفقيه الورع العابد الفاضل محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب قال أبو داود: سمعت أحمد يقول: كان بن أبي ذئب يشبه بسعيد بن المسيب. قيل لأحمد: خلف مثله ببلاده؟ قال:لا ولا بغيرها. قال وسمعت أحمد يقول: ابن أبي ذئب كان يعد صدوقا أفضل من مالك إلا أن مالكا أشد تنقية للرجال منه. عن الشافعي: ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث وابن أبي ذئب. وقال يعقوب بن سفيان قيل لأحمد: من أعلم مالك أو ابن أبي

ذئب؟ قال: ابن أبي ذئب أصلح في بدنه وأورع وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين وقد دخل ابن أبي ذئب على أبي جعفر فلم يهبه أن قال له الحق قال: الظلم فاش ببابك. وكان من أقول أهل زمانه للحق وعظ المهدي فقال: أما إنك أصدق القوم. ولد سنة ٨٠هـ ومات سنة ١٥٨هـ.

أبو حنيفة: هو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين النعمان بن ثابت التيمي أبو حنيفة الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة الفقيه الورع والسخي الزاهد، قيل إنه من أبناء فارس رأى أنسا، قال ابن المبارك: أفقه الناس أبو حنيفة ما رأيت في الفقه مثله. وقال أيضاً: لولا أن الله تعالى أغاثني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس. عن روح بن عبادة يقول: كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة فأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع وتوجع وقال أي علم ذهب؟ وقال أبو نعيم: كان أبو حنيفة صاحب غوص في المسائل. وقال يحيى بن سعيد القطان: لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله. وقال الربيع وحرملة: سمعنا الشافعي يقول: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة. مات سنة ١٥٠هـ

أبو مطيع البلخي،الفقيه صاحب أبي حنيفة، الحكم بن عبد الله الخراساني وكان على قضاء بلخ وكان مرجئا وقد لقي عبد الرحمن بن حرملة وغيره وهو ضعيف عندهم في الحديث وكان مكفوفا ولكنه كان صارما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان بصيرا بالرأي علامة كبير الشأن ولكنه واه في ضبط الأثر وكان بن المبارك يعظمه ويجله لدينه وعلمه، قال ابن حبان: كان من رؤساء المرجئة ممن يبغض السنن ومنتحليها. مات سنة ١٩٩هـ عن أربع وثمانين سنة.

محمد بن الحسن الشيباني أبو عبد الله أحد الفقهاء، كان من بحور العلم والفقه قويا في مالك وتفقه على أبي حنيفة رحمة الله عليه ولي القضاء أيام الرشيد، عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت سمينا أخف روحا من محمد بن الحسن وما رأيت أفصح منه .وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول: حملت عن محمد وقر بعير كتبا.

هشام بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي الخليفة كان حازماً عاقلاً مات سنة ١٢٥هـ.

يحيى بن معاذ الرازي: شيخ الصوفية الواعظ يحيى بن معاذ أبو زكريا الرازي الواعظ، قدم بغداد واجتمع بها إليه مشايخ الصوفية مات يحيى بن معاذ الرازي يوم الإثنين سنة ٢٥٨هـ.

ابن المديني: الإمام الثقة الثبت، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله: علي بن عبد الله بن جعفر أبو الحسن بن المديني بصري قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني: وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني. وقال النسائي: كأن الله خلقه للحديث عابوا عليه إجابته في المحنة لكنه تنصل وتاب واعتذر بأنه كان خاف على نفسه. مات سنة ٢٣٤ هـ على الصحيح بـ سامراء

الترمذي: الامام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى الضرير صاحب الجامع أحد الأئمة مصنف الجامع وكتاب العلل وتفقه في الحديث بالبخاري قال ابن حبان في كتاب الثقات: كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر. وقال أبو سعد الإدريسي: كان أبو عيسى يضرب به المثل في الحفظ. وقال الحاكم: سمعت عمر بن

علك يقول: مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد ومات في رجب سنة ٢٧٩هـ بترمذ.

أبو زرعة الرازي: الإمام الحافظ المحدث الثقة عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فروخ أبو زرعة الرازي أحد الأعلام وأحد أئمة الجرح والتعديل قال ابن راهويه: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل، كان من أفراد الدهر حفظا وذكاء ودينا وإخلاصاً وعلماً وعملاً، مات ٢٦٤ في آخر يوم من السنة وله ٦٤ سنة.

القاسم بن سلاّم: الإمام المجتهد البحر أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي اللغوي الفقيه الإمام المشهور صاحب المصنفات ثقة فاضل، قال أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الله يحب الحق أبوعبيد أعلم مني وأفقه. وقال أيضاً: نحن نحتاج إلى أبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا. وقال أحمد بن حنبل: أبو عبيد أستاذ وهو يزداد كل يوم خيراً. من نظر في كتب أبي عبيد علم مكانه من الحفظ والعلم وكان حافظاً للحديث وعلله ومعرفته متوسطة عارفاً بالفقه والاختلاف رأساً في اللغة إماماً في القراءات له فيها مصنف ولي قضاء الثغور مدة، مات بمكة سنة ٢٢٤هـ رحمه الله تعالى.

سليمان بن حرب الأزدي الواشحي البصري قاضي مكة ثقة إمام حافظ من صغار أتباع التابعين، قال أبو حاتم: إمام لا يدلس ويتكلم في الرجال والفقه، قال يحيى بن أكثم قال لي المأمون: من تركت بالبصرة؟ فوصفت له مشايخ منهم سليمان بن حرب وقلت: هو ثقة حافظ للحديث عاقل في نهاية الستر والصيانة فأمر بحمله إليه توفي سنة ٢٢٤ هـ

سعيد بن عامر الضبعي من صغار أتباع التابعين، أبو محمد البصري أحد الأعلام، قال يحيى القطان: هو شيخ البصرة منذ أربعين سنة، قال ابن معين: ثقة مأمون، قال ابن الفرات: ما رأيت بالبصرة مثله مات في شوال سنة ٢٠٨ هـ

ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي الحافظ الثبت ابن الحافظ الثبت وكان ممن جمع علو الرواية ومعرفة الفن وله الكتب النافعة ككتاب الجرح والتعديل والتفسير الكبير وكتاب العلل، قال مسلمة بن قاسم: كان ثقة جليل القدر عظيم الذكر إماما من أئمة خراسان.

عباد بن العوام بن عمر ويكنى أبا سهل الكلابي مولاهم، أبو سهل الواسطي، من أتباع التابعين، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، قال سعيد بن سليمان: كان من نبلاء الرجال في كل أمره قال ابن سعد في الطبقات: عباد بن العوام كان من أهل واسط وكان يتشيع فأخذه هارون أمير المؤمنين فحبسه زمانا ثم خلى عنه وأقام ببغداد وسمع منه البغداديون وكان ثقة وكان ينزل بالكرخ على نهر البزارين وتوفي سنة ١٨٥ في خلافة هارون أمير المؤمنين.

عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري مولاهم أبو سعيد البصري الإمام العالم الحافظ ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث، من صغار أتباع التابعين، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي وذكر ابن مهدي فقال: كان ثقة خيارا من معادن الصدق صالحا مسلما. قال عنه الذهبي: كان أفقه من يحيى

القطان. مات سنة ١٩٨ هـ بـ البصرة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

الأصمعي: عبد الملك بن قريب الباهلي أبو سعيد الأصمعي البصري أحد الأعلام من صغار أتباع التابعين، قال عمر بن شبة سمعته يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة، وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. وقال أبو معين الرازي سألت ابن معين عنه فقال: لم يكن ممن يكذب وكان من أعلم الناس في وقته. وقال الحربي: كان أهل البصرة من أصحاب الأهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصحاب سنة أبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد يونس بن حبيب والأصمعي. توفي بالبصرة سنة ٢١٦ هـ وقيل غير ذلك، وقال الخطيب: بلغني أنه عاش ٨٨ سنة.

عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي أبو الحسن التيمي مولاهم من صغار أتباع التابعين حدث بها يعني ببغداد في مسجد الرصافة فكان مجلسه يحرز بأكثر من مائة ألف إنسان، روى له البخاري والترمذي وابن ماجه، توفي سنة ٢٢١هـ.

عبد الله بن عباس: حبر الأمة وبحرها عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، غني عن التعريف لشهرة إمامته في العلم ببركة الدعوة النبوية له بالحكمة والفقه والتأويل، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة ٦٧ أو ٦٨ هـ.

عبد الرزاق بن همام: هو الإمام الحافظ الكبير أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، كان من أوعية العلم، روى عنه أحمد وإسحاق وابن معين والذهلي، عمي في آخر عمره فتغير، مات في شوال

سنة ٢١١ وله ٨٥ سنة. رحمه الله.

عثمان بن عفان ﷺ: ثالث الخلفاء الراشدين، أسلم قديماً، تزوج رقية وبعدها أم كلثوم بنتي النبي ﷺ فسمي ذا النورين، قتل شهيداً يوم الجمعة في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ.

عبد الله بن مسعود ﷺ: أحد السابقين الأولين ومن نبلاء فقهاء الصحابة وكبار البدريين، خادم رسول الله ﷺ ومقرب حضرته، له مناقب جمة وفضائل وافرة، توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ.

أبو بكر الصديق ﷺ: عبد الله بن عثمان أبي قحافة ـ بالضم ـ بن عامر التيمي، خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، أفضل البشر بعد الأنبياء، كان أبيض أشقر لطيفاً نحيفاً خفيف العارضين، غني لشهرته عن التعريف، توفي في جمادى الأخرى سنة ١٣ هـ.

لقيط بن صبرة بفتح المهملة وكسر الموحدة ويقال إنه جده واسم أبيه عامر صحابي مشهور وهو أبو رزين العقيلي والأكثر على أنهما اثنان.

وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي ثقة حافظ عابد، قال ابن سعد: كان ثقة مأموناً عالياً رفيع القدر كثير الحديث. مات في آخر سنة ١٩٦هـ وله سبعون سنة.

يحيى بن معين الغطفاني مولاهم، الحافظ، إمام المحدثين أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، من كبارالآخذين عن تبع الأتباع، فضائله كثيرة مات سنة ٢٣٣هـ بالمدينة النبوية، وله بضع وسبعون سنة.

أبو سليمان الخطابي حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف من ولد زيد بن الخطاب، الإمام العلاّمة، المحدث الرحّال، كان ثقة ثبتاً من أوعية العلم والأدب، توفي لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٨٨ هـ ودفن ببست، رحمه الله.

أبو بكر الخطيب: الحافظ الكبير، الإمام، محدث الشام والعراق أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي صاحب التصانيف، قال عنه الذهبي: طلب هذا الشأن، ورحل فيه إلى الأقاليم، وبرع وصنّف وجمع، وسارت بتصانيفه الركبان توفي في السابع من ذي الحجة سنة ٤٦٣هـ رحمه الله.

الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد المشهور أبو عبد الله البغدادي صاحب التصانيف وكان أحمد بن حنبل يكره لحارث نظره في الكلام وتصانيفه الكتب فيه ويصد الناس عنه، عن سعيد بن عمرو البرذعي قال: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. عن أبي القاسم النصراباذي يقول: بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد بن حنبل فاختفى في دار ببغداد ومات فيها ولم يصل عليه إلا أربعة نفر ومات سنة ٢٤٣هـ.

محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة ثقة صادق من كبار أئمة الإسلام المعتمدين قال الخطيب: كان ابن جرير أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى

رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات توفي ابن جرير في شوال سنة ٣١١ هـ.

الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني المتكلم على مذهب الأشعري من أهل البصرة سكن بغداد فأما الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطرا وأجودهم لسانا وأوضحهم بيانا وأصحهم عبارة وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم مات القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٤٠٣ هـ.

أبو المعالي الجويني: شيخ الشافعية: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، نسبة إلى جوين من نواحي نيسابور، رحل إلى بغداد ثم إلى مكة وجاور بها أربع سنين، وذهب إلى المدينة فأفتى ودرّس فلقب بإمام الحرمين، وكان أبو المعالي في بداية أمره على مذهب أهل الكلام في باب الأسماء والصفات من المعتزلة والأشاعرة، وكان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم المعتزلي، قليل المعرفة بالآثار، فأثّر فيه مجموع الأمرين، لكنه رجع عن ذلك إلى مذهب السلف كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مات سنة ٤٧٨هـ بنيسابور، رحمه الله.

معاذ بن جبل ﷺ أنصاري خزرجي من فضلاء الصحابة ونبلائهم وفقهائهم، شهد العقبة وبدراً وغيرها من المشاهد، استعمله النبي ﷺ على اليمن، واستعمله عمر على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح، توفي

في طاعون عمواس سنة ١٧ هـ وقيل ١٨ هـ وله ٣٨ سنة.

أبو عمرو الطلمنكي الحافظ الإمام المقرئ أبو عمر أحمد بن محمد ابن عبد الله المعافري الأندلسي عالم أهل قرطبة، حج فأخذ عن جماعة من أهل العلم، ورجع إلى الأندلس بعلم جم روى عنه أبو عمر بن عبدالبر وأبو محمد بن حزم، وكان رأسا في علم القرآن حروفه وإعرابه وناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه وكان ذا عناية تامة بالحديث ومعرفة الرجال حافظا للسنن إماما عارفا بأصول الديانة عالي الإسناد ذا هدي وسمت واستقامة وكان فاضلا ضابطا شديدا في السنة، قال خلف بن بشكوال: كان سيفا مجردا على أهل الأهواء والبدع قامعا لهم غيورا على الشريعة شديدا في ذات الله، توفي في ذي الحجة سنة ٤٢٩هـ رحمه الله.

عمرو بن عثمان المكي أبو عبد الله من الصوفية الكبار من أهل مكة قرأ التفسير وقرأ مسائل المزني وكان من مشايخ الصوفية سكن بغداد حتى مات بها وحدث وله مصنفات في التصوف وهو عالم بعلم الأصول وله كلام حسن وأسند الحديث مات ببغداد سنة ٢٩١هـ وقيل سنة ٢٩٧هـ.

أبو نعيم الأصبهاني: الحافظ الإمام مفيد أصبهان أبو نعيم عبيدالله بن الشيخ أبي علي الحسن بن أحمد بن الحسن الأصبهاني أحد العلماء في فنون كثيرة بلغ مبلغ الإمامة بلا مدافعة وجمع ما لم يجمعه أحد من أقرانه من الكتب الكثيرة والسماعات صدوق في جمعه وكتبه أمين في قراءته مات سنة ٥١٧هـ.

أبو علي الجبائي المعتزلي اسمه محمد بن عبد الوهاب بن سلام.

أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي الظفري اسمه علي بن عقيل بن محمد من كنيته أبو الوليد وأبو وهب قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لكن ابن عقيل الغالب عليه إذا خرج عن السنة أن يميل إلى التجهم والاعتزال في أول أمره بخلاف آخر ما كان عليه فقد خرج إلى السنة المحضة.

أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين، ولد سنة ٢٦٠هـ مات أبوه وهو صغير فتزوجت أمه برجل من المعتزلة هو أبو علي الجبائي، فتتلمذ على يده وأخذ عنه، فنشأ على مذهب الاعتزال، ثم هداه الله فتبين له ضلال هذا المذهب فتركه وسلك مذهب الكلابية، فأثبت الصفات السبع العقلية، وأوّل الصفات الخبرية، واشتهر بين الناس بهذا المذهب، وهو الذي على أصوله أشاعرة اليوم، فأيقظ الله بصيرته فسلك مذهب سلف الأمة وأثبت جميع الصفات من غير تأويل أو تشبيه، فألف كتاب «الإبانة» وأعلن فيه انتسابه إلى عقيدة الإمام أحمد بن حنبل، توفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ.

ابن أبي زمنين: الإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري الأندلسي شيخ قرطبة، تفنن واستبحر من العلم وصنف في الزهد والرقائق وقال الشعر الرائق، كان صاحب جد وإخلاص ومجانبة للأمراء، ولد في أول سنة ٣٢٤هـ وتوفي في ربيع الآخر سنة ٣٩٩هـ.

عبد الجبار الهمذاني: القاضي عبد الجبار بن أحمد العلاّمة المتكلم شيخ المعتزلة أبو الحسن الهمذاني صاحب التصانيف من كبار فقهاء

الشافعية، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة تخرج به خلق في الرأي الممقوت، مات في ذي القعدة سنة٤١٥هـ من أبناء التسعين.

الرازي: فخر الدين العلاّمة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة ٥٤٤هـ وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه مات على طريقة حميدة والله يتولى السرائر، مات يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ وله بضع وستون سنة.

الهروي: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، كان يدعى شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة بهراة ويسمى خطيب العجم لتبحر علمه وفصاحته ونبله، وكان شديداً على الأشعرية، توفي سنة ٤١٨هـ

أبو عثمان الصابوني: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد أبو عثمان الصابوني النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر شيخ الإسلام، عن الإمام أبي علي الحسن بن العباس قال: اتفق مشايخنا من أئمة الفريقين وسائر من ينتهي إلى علم التفسير والتذكير أن أبا عثمان كامل في آلاته مستحق للإمامة بصفاته لم يترقل الكرسي في زمانه على ظرفه وبيانه وثقته وصدق لسانه ولد في سنة ٣٧٣هـ وتوفي سنة ٤٤٩هـ بنيسابور في المحرم.

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
يجب على عموم الأمة الرد عند التنازع إلى الشرع	٤٤
ما يلزم على قول النفاة من اللوازم الباطلة	٤٥
من ورثت عنه مقالة التعطيل للصفات، ومن أول من قالها من هذه الأمة ومن أظهرها؟	٤٨
ليس كل الصابئة مشركة معطّلة	٤٩
كثير من اليهود والنصارى بدلوا وحرّفوا وكانوا كفاراً مشركين	٥٠
مذهب فلاسفة الصابئة في الصفات	٥٠
الفارابي أخذ عنهم تمام فلسفته	٥٠
ضرر تعريب كتب الروم واليونان على العقائد وغيرها	٥١
نشر بشر المريسي هذ المقالة	٥١
التأويلات الموجودة في كتب المتأخرين هي تأويلات المريسي، ودليل ذلك	٥١
حكم أئمة السنة في الجهمية	٥٣
ذكر الكتب التي نقلت مذهب السلف في نصوص الأسماء والصفات، ونقد مذهب المعطلة	٥٣
القول الشامل في هذا الباب، ومذهب السلف فيه إجمالاً	٥٥
لو ماثلت صفات الباري صفات المخلوقين للزم أن يجوز عليها ما يجوز على صفاتهم من النقص والعدم	٥٨
إثبات أهل السنة للاستواء مع عدم التمثيل	٥٨
كل من نفى شيئاً من الصفات يزعم أن العقل يسانده	٦٠
يخصم أهل السنة من نفى الصفات أو نفى المعاد بما خصم به	

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
والاشتغال بالعبادات أحسن منها	١٥٧
استماع الغناء على اعتقاد أنه من الدين كفر	١٥٨
حكم الرقص الإيقاعي والربعيات	١٥٨
إذا صبر الفقير ولم يتكفف فهو أفضل	١٦٠
ترك الكسب لا يجوز إلا بشروط	١٦٠
من احترف السؤال وهو صحيح	١٦٠
الاستماع إلى الغناء والملاهي فسق	١٦١
مما نقل المؤلف عن عبد القادر الجيلاني أن الله مستو على العرش بذاته، وأنه لا يجوز القول بأنه في كل مكان	١٦٣
كلام ابن عبد البر ونقله عن أهل السنة	١٦٤
إثبات النزول إلخ	١٦٤
معنى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ﴾	١٦٥
ما حكاه البيهقي من إثبات اليدين بالآيات والأحاديث	١٦٦
مذهب المتقدمين في الصفات	١٦٨
مما نقل المؤلف عن القاضي أنه لا يجوز رد أخبار الصفات ولا يعتقد التشبيه فيها	١٦٩
لو كان التأويل سائغاً لسبق إليه السلف	١٦٩
نقل عن الأشعري مقالة أصحاب الحديث وأهل السنة في الإيمان بالصفات وغيرها من مسائل العقائد	١٦٩
حكى الأشعري عن أهل السنة بحسب ما فهمه من مذهبهم أن الله	

الموضوع	الصفحة
ليس بجسم	١٧٢
الأشعري ينتسب إلى الإمام أحمد في كل شيء	١٧٥
جملة ما يقول الأشعري في الصفات وغيرها	١٧٥
رد الأشعري على من جعل استوى بمعنى قهر، وأن الله في كل مكان	١٨٠
قول الباقلاني واحتجاجه على إثبات الوجه واليدين	١٨٢
رده على من قال إن الله في كل مكان	١٨٣
أثبت الباقلاني من الصفات أكثر مما أثبتت الأشاعرة	١٨٤
سبب نقل المؤلف لأقوال بعض المتكلمين مع أن الكتاب والسنة والإجماع مغنية عن كلام كل أحد	١٨٤
بيان الجويني لمذهب السلف في الصفات وترك التأويل، وأنه يقول بذلك	١٨٦
ليس كل من حكى المؤلف قوله من هؤلاء المتكلمين وغيرهم يقول بجميع ما يقول به أهل السنة	١٨٧
ظاهر آيات المعية لا يخالف آيات العلو والاستواء	١٨٩
الله معنا حقيقة وهو على العرش حقيقة	١٨٩
معنى المعية إذا أطلقت في اللغة وإذا قيدت	١٨٩
شواهد ذلك	١٨٩
تنقسم المعية إلى عامة وخاصة	١٩١
أدلة النوعين ومقتضى كل منهما	١٩١
معنى المعية غير مقتضاها	١٩١

الموضوع	الصفحة
ليس مقتضى المعية أن تكون ذات الله مختلطة بالخلق	١٩٢
لفظ المعية «العامة والخاصة» يقتضي في كل موضع أشياء لا يقتضيها في موضع آخر، فإما أن تختلف دلالة المعية بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين مواردها، ويمتاز كل موضع بخاصية	١٩٢
نظير المعية من بعض الوجوه الربوبية والعبودية يشترك فيها جميع الخلق ويمتاز بعضهم على بعض	١٩٢
من فسر ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ بأنها تحيط به أو جعل ذلك ظاهر الآية وتأولها فقد تكلف	١٩٤
الإخبار بأن الله قبل وجه المصلي لا ينافي علو الله	١٩٥
تمثيل الرسول ﷺ رؤية الله وعلوه برؤية الشمس والقمر مع علوهما	١٩٥
قول بعض المتكلمين: ظاهر النصوص مراد أو ليس بمراد لفظ مجمل	١٩٧
خطأ من تقدم أن السلف والخلف متفقون على نفي ما دلت عليه نصوص الصفات	١٩٧
لم يعرف عن أحد من السلف إنكار الصفات الخبرية	١٩٩
الجهمية والمعتزلة يسمون أهل السنة مشبّهة، بل غلاتهم يسمون الرسل مشبّهة أيضاً	٢٠٠
كل صنف من أهل البدع يلقب أهل السنة بلقب مفترى	٢٠٠

الموضوع | الصفحة

* * *

مطابع الفسطاط
AL-FOSTAT PRINTING
0020235392170